ميخائيل دونسكوي

العربة .. إليَّ بالعربة

(غريبوييدف)

ترجمة : عاطف أبو جمرة

مسرحيات عالمية

« ٤٢١ »

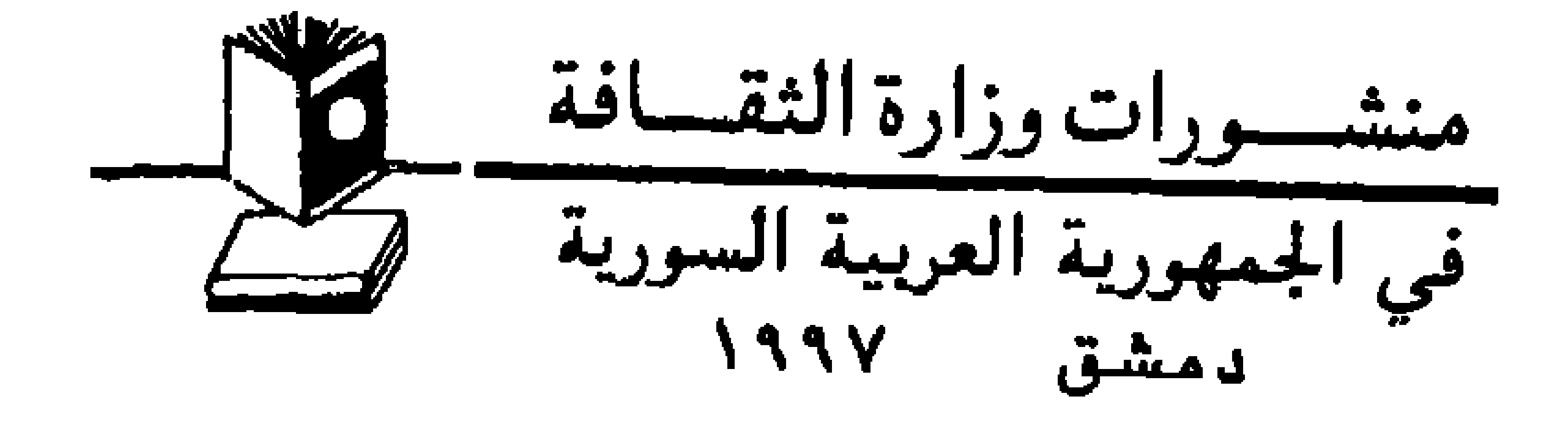
الإشراف الفني زهير الحمو

ميخائيل دونسكوي

العربة .. إليَّ بالعربة

(غريبويدف)

ترجمة : عاطف أبو جمرة



العنوان الأصلي للكتاب :

Михаил Донской

Карету мне, карету!..
(Грибоедов)

العربـــة . . إليَّ بالعربـــة : (غريبويـــدف = Михаил
(Грибоедов) Карету!, мне карету Донской
ميخائيل دونســــكوي؛ ترجمـــة عاطـــف أبو جمرة . -
دمشـــق : وزارة الثقافـة، ١٩٩٧ . - ١٢٨ ص؛ ١٩سم
١- ٨٩١٫٧٢ ر د و ن ع ٢- العنوان ٣- [illegible]
٤- دونسكوي ٥- أبو جمرة
مكتبــة الأســد

الايداع القانوني : ع - ٨٥٢/ ٦ / ١٩٩٧

مســـرحيات عالميـــة
« ٤٢ »

الإهداء

إلى

روح الصديق

د. فواز الساجر

الذي ترك المسرح جسداً

وظل فيه أثراً وفكراً.

عاطف أبو جمرة

الإهداء

إلى

الذكرى

الطاهرة

لزوجتي

وصديقتي

إينا تشيجيغوفا

ميخائيل دونسكوي

الشخصيات

- غريبوييدوف، السكاندر سيرغييفيتش.

-إيستومينا - ممثلة

- شيريميتوف

- ياكوبوفيتش

-شاخوفسكوي -كاتب مسرحي

-زافادوفسكي

- ساشكا - خادم غريبوييدون

-ناستاسيا فيودوروفنا - أم غريبوييدوف

- الكسي فيودوروفيتش - أخوها

- كيوخيلبيكر، ويلهلم كارلوفيتش.

-يرمولوف، الكسي بتروفيتش- قائد فوج القفقاس

- ياور القائد

- بيغيتشيف ، ستيبان نيكيتيتش

- كريلوف، ايفان اندرييفيتش

- سيدة طاعنة في السن

- وجيه عجوز

- وجيه شاب

- بولغارين ، فادّي فينيديكتوفيتش

-غريتش ، نيكولاي ايفانوفيتش

- جاندر، اندريه اندرييفيتش - صديق غريبوييدوف

- أودويفسكي، الكساندر ايفانوفيتش - ابن عم غريبوييدوف وصديقه

- عقيد

- مقدم

- ملازم أول

- حامل الراية (رتبة عسكرية)

- ملازم

(عقيد، مقدم، ملازم أول، حامل الراية، ملازم: أعضاء في جمعية سرية)

- مدني

- صاحب منصب رفيع في فوج الدرك.

- جنرال

- شخصية هامة

-باسكيفيتش، ايفان فيودوروفيتش - قائد فوج القفقاس

-جندي

- نينا تشافتشا فادزه

ممثلات، جمهور المسرح، شهود المبارزة، ضيوف في شقة غريتش، خدم في بيت آل غريبوييدوف.

تجري الأحداث في بطرسبورغ وموسكو وكييف وفي القفاس مابين الأعوام ١٨١٧ و ١٨٢٨ .

مسرحية في عشرين مشهداً

المشهد الأول

(تشرين الثاني ١٨١٧)

كواليس مسرح بطرسبورغ الكبير

- الممثلة الأولى: مسيو غريبوييدوف، لماذا لم يحضر جنابك بالأمس؟
- إيستومينا: آه، الكساندرسيرغييفيتش، أهذا أنت؟
- غريبوييدوف: أنا شخصياً، بلحمي ودمي.
- كافاليرغارد(*): (أثناء مروره) مسيوغريبوييدوف!
- غريبوييدوف: سمو الأمير! (ينحني كل منهما للآخر)
- ايستومينا: لقد نسيتنا تماماً.

-غريبوييدوف: (مازحاً) لو كنت أستطيع أن أنساكم للحظة واحدة، لذكرتموني بنفسكم فوراً. ألم ترى شاخوفسكي؟

---

* كافاليرغارد – ضابط في الحرس الملكي في روسيا القيصرية.

-إيستومينا: (بخيبة أمل) معقول؟

- **غريبويدوف**: كل مافي الأمر كلمتان. لقد كتبت شعراً للهاته.

(يغادران)

(يدخل شيريميتوف وياكوبوفيتش)

- **شيريميتوف**: ماتكاد تلحظني حتى تهرب كالغزال الفزع.

- **ياكوبوفيتش**: لو كنت مكانك، اقسم بالله ياشيريميتوف لرميت سقط المتاع هذه منذ زمن بعيد.

- **شيريميتوف**: سنتان..

- **ياكوبوفيتش**: فترة طويلة، تمل فيها الصديقة من صديقها.

- **شيريميتوف**: لن أحيد عن حبها..

- **ياكوبوفيتش**: وتعذيبها. ماذا أعجبك فيها، وهي الحامضة الشاحبة الهزيلة، ماذا أعجبك لتعشق جماداً، لتعشق حبلاً من جليد.

- **شيريميتوف**: أحبها بلا وعي وأغار عليها بلا وعي.

- **ياكوبوفيتش**: إذن، وجه اللوم إلى ذلك السخيف: ادعه للمبارزة..

-**شيريميتوف**: عفوك، ياكوبوفيتش، عمن تتحدث؟

-**ياكوبوفيتش**: عن غريبوييدوف، ألم تدركها معه؟ مدني ويهين ضابطاً؟ لتضربه صاعقة. إلى المبارزة - وسدد إلى جبينه.

- **شيريميتوف**: أنت، ياأخانا، تهذي. كلا. ليس غريبوييدوف من هذا النوع. إنه صديقي. أقسم أن المتورط هنا هو زافادوفسكي. فهو يحوم منذ زمن بعيد حول إيستومينا.

(يغادران)

يدخل من الجانبين غريبوييدوف وشاخوفسكوي.

-**شاخوفسكوي**: أنا أبحث عنك، ياعزيزي.

- **غريبويدوف:** وأنا أيضاً. لقد سألت عنك للتو.

- **شاخوفسكوي:** كيف الحال؟

- **غريدوبيدوف:** (مقدماً له ورقة) خذ. هذا لك.

- **شاخوفسكوي:** (متفحصاً) سهل.. هاهاها..
  ومضحك!.. سأكمل قراءته في المقصورة.
  شعر كالشمبانيا..

- **غريبويدوف:** لا، بل كالكفاس"*".

- **شاخوفسكوي:** ماذا حل بك ياالكساندر سيرغييفيتش.
  ألا تشعر بالذنب؟ لم يمض على وجودك في
  العاصمة إلاّ القليل وهاأنت تفوق الجميع،
  ويذيع صيتك كمتهكم ساخر ذي لسان لاذع،
  مع أن كل مانكتبه للمسرح يسجل نجاحاً.

- **غريبويدوف:** النجاح ليس بديلاً عن المجد..

- **شاخوفسكوي:** إيه، لقد ذهبت بعيداً، عليك أن تتعرف
  بشكل أحسن على جو بطرسبورغ، فهو ليس

---

* الكفاس: مشروب روسي مرطب، حلو المذاق، يصنع من منقوع دقيق الجودار، بعد تخميره.

بحاجة لا إلى أريستوفان ولا إلى موليير . اكتب
أيها الشاعر من أجل التسلية الآنية، لا من أجل المجد .
-غريبويدوف: المسلون الآن كثيرون . ولكن ألا تجن إذا
ظللت تمزح دائماً . .
- شاخوفسكوي: أتريد أن تضيع النجاح من يدك؟ أنت
هكذا، ياعزيزي، تضع مستقبلك على كف
عفريت، لقد أحبوك، والمشاهدون يقدرونك،
فلماذا تسعى وراء الطير المحلق بعيداً، بينما
العصفور ملك يديك؟
- غريبويدوف(جانباً) خبيث ، حية لادغة .
- شاخوفسكوي: تعال نسهر عما قريب نحن الثلاثة، أو
نحن الأربعة، ونكتب مسرحية هزلية، الموضوع
جاهز، ولايبقى عليك إلا الأشعار .
- غريبويدوف: أنا في خدمتكم . أنت محق . مادمت
متهكماً محلفاً، فأنا ملزم بالكتابة من أجل
التسلية . (يخرج شاخوفسكي)ومع ذلك،
ماحاجتنا للتفكير مادام الموضوع جاهزاً؟
فالشعراء أيضاً بحاجة للأكل والشرب .

(تدخل إيستومينا)

- **غريبوييدوف**: أين شيريميتوف؟

- **إيستومينا**: أرجوك أن تؤدي لي خدمة: لاتذكرني به.

- **غريبوييدوف**: كيف هذا؟ أنت . .

- **ايستومينا**: أنا عند إحدى صديقاتي منذ الأربعاء الفائت

- **غريبوييدوف**: عندما سينتهي العرض سنتفرغ لبحث المسألة.

- **ايستومينا**: أخشى ألا يمر الأمر دون مصيبة. فهو يفور غيرة.

- **غريبوييدوف**: لاعليك.

- **إيستومينا**: لقد أزمعت أكثر من مائة مرة على قطع العلاقة معه. والآن عزمت . . .

- **غريبوييدوف**: صحيح؟ عفواً. أنا لست ألومك، ولكن كم سيدوم هذا العزم؟ أياماً ثلاثة؟

- **إيستومينا**: أما زلت تمزح؟

– غريبوييدوف: اعذريني. . سنتابع الكلام، ولكن خارج المسرح. حين سينتهي العرض نذهب إلى بيتي فوراً.

– إيستومينا: آه، ماذا تقول، ياغريبوييدوف؟ إنه هنا يراقبني بمائة عين كالأرغوس. "*".

– غريبوييدوف: لابأس. هناك طريقة قديمة. سأنتظرك في العربة قبالة دار الضيافة على شارع نيفسكي. .

– إيستومينا: (هاربة) لقد أدركني الوقت. .

– فرانت: (مقترباً) اسمع، الكساندر، عند انتهاء المسرحية سنذهب إلى الغجر - لقد ربح سميدوفيتش (البنك)"**"، وهو يدعو الجميع إلى الغجر.

– غريبوييدوف: لا، الآن لاأستطيع.

– فرانت: أتترك أصحابك؟عيب، سنضجر من دونك.

---

* الأرغوس - طير من طيور الغابات في جنوب شرق آسيا يحمل عدة عيون على أرياشه.

** مصطلح يستخدمه لاعبو القمار، ويعني أنه ربح من جميع اللاعبين.

- **غريبويدوف**: عندي موعد هام .
-**فرانت** :أجله ياصديقي .
- **غريبويدوف**: لا .
- **فرانت**: إذن أنت الآن لست في خدمة باخوس، بل في خدمة فينيرا. قل لي، على الأقل، مع من. مع دونيا؟ مع آنوشكا؟ مع بوليتا؟
- **غريبويدوف**: هذا سر . (يغادر).

المشهد الثاني - في نفس الأمسية

غرفة الاستقبال في شقة غريبويدوف وزافادوفسكي. في الجانب الأيسر- باب يؤدي إلى مدخل الشقة وفي الجانب الأيمن باب يؤدي إلى الغرف الداخلية. يدخل غريبويدوف وايستومينا من باب المدخل.

- **غريبويدوف**: (مستديراًنحو المدخل) هيه، ساشكا، جهز لنا الشاي . هل غلى الماء في السماور؟
- **ساشكا**: (عند العتبة) لقد أضفت اليه الماء مرتين . وأنا أنتظر من زمن .

- **غريبويدوف**: أنت ياروحي، بيضاء كالصابون. ماذا بك؟
- إيستومينا: خائفة . . .
- **غريبويدوف**: من فاسيلي؟
- إيستومينا: إنه فظيع. يهدد بقتلي والانتحار . .
- **غريبو يدوف**: غيور متهور . ولكنه لن يفعل أكثر من تكسير الأقداح. فهو عموماً ليس خطيراً. .
- إيستومينا: كلا، فأنت لاتعلم . إن ياكوبوفيتش معه.
- **غريبويدوف**: هذا الطبل؟ أهو صديق صدوق لفاسيلي؟ إنه يلقي بنفسه في النار من أجل صديقه ولكنه غالباً مايذهب بصديقه إلى الدخان. من أين لفاسيلي مثل هذا الهذيان. وممن يغار الآن؟
- إيستومينا: لقد التقى منذ أيام وراء الكواليس بزير النساء، الذي سبق وصددت طلباته أكثر من مرة، بصديق كل ربيبات المسرح، بالدوق زافادوفسكي الذي تعرفه، فنظر إليه الدوق

بسخرية . (يخرج زافادوفسكي من الباب اليميني) .

- زافادوفسكي: بسخرية؟ هذا تلفيق . صدقوا قسمي . .

- إيستومينا:كيف؟ هذا أنت . . زافادوفسكي؟

- غريبويدوف: إننا نسكن معاً . .

- إيستومينا: أنتما تتسليان؟ ياله من عبث . اتركني . لاأريدأن أظل هنا ولادقيقة . . .

- زافادوفسكي:جبانة ، نفورة كالغزال .

- ايستومينا: ابتعد عني . .

- زافادوفسكي: . . وكالنمر عنيفة . .

- غريبويدوف: انتظر سأشرح لكما كل شيء . .

(ضجيج في المدخل) . .

- ياكوبوفيتش: (من وراء الكواليس) ابتعد عنِ الطريق ، وإلاّ أقمت هنا مذبحة . .

(يتهاوى ياكوبوفيتش وخلفه شيريميتوف دافعين ساشكا) .

- ياكوبوفيتش: هاك، شيريميتوف. هذه هي فلورا الاسرة. هاأنت ترى أين ومع من.

- غريبويدوف: فاسيلي، ماهذا الهراء..

- شيريميتوف: نعم. هذا الهراء لن يجر الخير على البعض..

- ساشكا: (جانباً) مصيبة ستحل..

- شيريميتوف: (إلى غريبويديف) لقد كنت حتى اليوم صديقي.

- زافادوفسكي: اسمحوا، أيها السادة، الواقع أنه كان بودي..

- ياكوبوفيتش: (إلى غريبويديف) لست أدري أي دبلوماسي أنت، ولكنك، على مايبدو، قواد خبير.

- غريبويدوف: ماذا؟

- ياكوبوفيتش: سنتعارك؟

- غريبويدوف: أنا جاهز.

– شير يميتوف: (إلى زافادوفسكي) انتظر رداً مُرضياً.

– إيستومينا : اقسم لكم أنها مصادفة.

– شيريميتوف: لقد مضى، ياسيدة، زمن كلمات الأسى (إلى زافادوفسكي وغريبويدوف) انتظر الشاهدين. (*)

– ياكوبوفيتش: تعال نلقن، ياأخي، هذين المتأنقين درساً..

(يغادران).

المشهد الثاني - في اليوم التالي

(حقل مغطى بالثلج. شيريميتوف مرمي على الثلج، وحوله زافادوفسكي وياكوبوفيتش وغريبويدوف والشاهدان الميقاتيان).

– ياكوفيتش: ماذا؟ أهي النهاية؟

– زافادوفسكي : قتل؟

(*) الشاهدان هما الميقاتيان اللذان يشرفان عن نزاهة سير المبارزة.

- **الشاهد الأول**: لا ، مايزال حياً .
- **غريبوييدوف**: أين؟
- **الشاهد الأول**: في بطنه . وخرجت من ظهره .
- **الشاهد الثاني**: لايبدو أنه سيعيش . .
- **الشاهد الأول**: هاهي الرصاصة . .
- **ياكوبوفيتش**: (يأخذ الرصاصة) لقد تسطحت . سأحتفظ بالرصاصة التي ستسكب في طلقة جديدة . (إلى غريبوييدوف) من أجلك . من يسير خلفي لايضيع .
- **الشاهد الثاني**: فلنؤجل أيها السادة . مشاغلنا حتى الآن تكفينا .

(**الجميع منهمكون حول الجريح . غريبوييدوف يبتعد جانباً**).

- غريبوييدوف : ألا أيها المتهكم ، أيها المهرج ، أيها المسلي . أمسرور أنت الآن بنفسك؟ أراض أنت عن قدرتك ، كما نصحك استاذك ذو الخبرة الطويلة؟ أما زلت ، كما في السابق ، مستعداً

للتهكم والتهريج والتسلية؟ أفلم يعدكَ هذا اليوم الدامي إلى رشدك أيها المهرج، المسلي، المهرج، أم أنك فهمت في هذا الحقل فجأة، أيها المسلي، المتهكم، المهرج أن لامفر، مهما كان عالمنا كبيراً، من الحقد والعار، ومن الألم؟

المشـــهـد الرابع - أيلول ١٨١٨

غرفة الاستقبال في بيت غريبويدوف في موسكو - تدخل ناستاسيا فيودوروفنا مسرعة.

- **ناستاسيا فيودورفنا:** غافروشكا!.. فينكا!.. لاأحد. لقد أُفلت زمام الخدم نهائياً. لم يعد يشغل بالهم العمل، بل الدلع، ولم يعد يهمهم إلا النوم والثرثرة. لقد شرَّف بارتشوك إلى موسكو ويعتقد أن السيدة ستتهاون معه وستسايره. (تقرع الجرس، فتطل من الباب رأس كازاكي صغير أبيض الشعر، فزع). أين كنت تتسكع؟ سأنزع أذنيك من مكانهما. ناد الكساشكا.

(فترة صمت ، يخرج ساشكا).

هل شبعت نوماً؟ الغطيط حتى الظهر من عاداتكم في العاصمة .

– ساشكا: وهل يجوز ياسيدتي؟ نحن لم نعتد ذلك . .

– ناستاسيا فيودوروفنا: احك هذه الحكايات للبنات وليس لي . بالمناسبة – أنت تحاول التحرش بالفتيات . إنظر إلي – أياك أن تتمادى ، وإلاّ . . فاعذرني . . أنت رجل متمدن من بطرسبورغ ولست جاهلاً من الريف . سيكون هذا عاراً عليك . قد أعطي أوامري للحوذيين . . فقضبان الصفصاف ، عندهم ، منقوعة في الخل دائماً . . أفهمت؟

– ساشكا: (بحيوية) وهل أنا مجنون؟

– ناستاسيافيودوروفنا: أنت تخدم السيد ، ولكن أعرف أن عقابك ورحمتك بإرادتي . إذن ، اقفل فمك . ولكن ، لابأس . . منذ أيام كان عيد قديسك . هاك ، نصف روبل لك .

– ساشكا: أشكرك ، وأنا رهن أمرك . .

- ناستاسيافيودوروفنا: هل عاد السيد متأخراً؟
- ساشكا: حوالي الساعة الثانية.
- ناستاسيافيودوروفنا: وأين كان؟
- ساشكا: في المسرح.
- ناستاسيافيودوروفنا: وبعد ذلك؟ مع الممثلات، شرب شاي وعربدة؟
- ساشكا: أبداً ياسيدتي. سمعت أنه ذهب من المسرح إلى حفلة عند ال ترونوف.
- ناستاسيافيودوروفنا: ساشكا.. إلى آل ترونوف؟ وكان في الحفلة؟ كذاب. فهو لايشتري كل حفلات موسكو بقرش صدىء..
- ساشكا: لماذا أكذب؟ هو قال لي ذلك..
- ناستاسيافيودوروفنا: عجيب..
- ساشكا: ولمجرد عودته، جلس ساعتين كاملتين وهو يكتب شيئاً ما.
- ناستاسيافيودوروفنا: يكتب؟ ماذا؟ رسائل أم أشعاراً؟ كل السبب أصدقاؤه في بطرسبورغ - فهم الذين

أغروه بالكتابة . عساه، لاسمح الله، أن لايصور آل ترونوف في مسرحية هزلية . انهم على قدر من القوة والمهابة كبير . .

(يدخل الخادم)

- الخادم: أخوك قادم إليك . .

(يدخل الكسي فيودورفيتش)

- الكسي فيودوروفيتش: أختي، هل أنت بصحة جيدة؟ (يتبادلان القبلات) . سمعت أن ابن أختي قد شرَّف . ليتني أرى كيف يبدو دبلوماسينا . بِمَ أنت مهمومة؟

- ناستاسيافيودوروفنا: الهموم الآن أكثر مما يطاق .

الكسي فيودوروفيتش :هل مجيء ساشا(*) إلى موسكو مؤقت؟

- ناستاسيافيودوروفنا: كلا . إنه في طريقة إلى بلاد الفرس .

- الكسي فيودوروفيتش: آها . إذن إلى عالم بعيد .

(*) كلمات ساشا وساشكا وساشنكا هي أسماء التدليل والتصغير من اسم الكساندر .

- ناستاسيافيودوروفنا: لقد عينه السفير أميناً للسر.

- الكسي فيودوروفيتش: ليس عندي ماأقول. الطريق أمام ابن أختي ممهد. وهو يصنع لنفسه مستقبله، فما الذي يزعجك؟

- ناستاسيافيودوروفنا: الضيعة في كوستروما. قد دخل الفلاحون معي في نزاع مدَّعين أنهم أضعف من احتمال ابتزاز السادة..

- الكسي فيودوروفيتش: هل رفعت عليهم الضريبة..

- ناستاسيافيودوروفنا: لقد كلفوني ثلاثمائة ألف إلا القليل، وليست معصية أن أضغط عليهم بعض الشيء.

- الكسي فيودوروفيتش: (متثائباً) سيستكينون: مري بجلد عشرة منهم، وسلمي ثلاثة للخدمة العسكرية.

- ناستاسيا فيودوروفنا: لقد استدعيت ناظر الضيعة..

(يدخل الخادم).

ماذا تريد ياغافريل؟

- الخادم: جاء ساواتي كوزمين.

- ناستاسيا فيودوروفنا: هاهو. ناده.

يخرج الخادم. يدخل ناظر الضيعة..

ناظر الضيعة: هاتي يدك ياأمي (ينحني لالكسي فيودوروفيتش) المبجلة.

- الكسي فيودوروفيتش: يالها من سحنة..

- ناستاسيافيودوروفنا: ماذا؟ بم عدت ياكوزميتش؟ انظر، لاتكذب علي. جئت بخير أم بشر؟

- ناظر الضيعة: أوي. بشر. لقد جمعت الكل، إلاّ أن التفاهم مع هؤلاء الناس مستحيل. حاولت تخجيلهم، إرهابهم، قلت لهم: ستحل بكم المصائب. وهم كما هم. يقولون: لن نجمع هذه الضريبة، وإذا اضطررنا سنشتكي للقيصر.

- الكسي فيودوروفيتش: الوصول إلى القيصر أمر بعيد المنال بالنسبة لهم (متثائباً).

- ناظر الضيعة: لقد جن الفلاحون تماماً. لقد اختاروا بيتروشكا نيكيفوروف رسولاً.

- ناستاسيا فيودوروفنا: ماذا؟ رسولاً؟

- الكسي فيودوروفيتش: إذن، ليس الأمر لعبة.

- **ناستاسيا فيودوروفنا:** هاقد عشنا لنصل إلى الاهانة.
سيذهب إلى العاصمة؟ ومعه شكوى؟ آه منكم،
أيتها الحيوانات الوقحة..

يظهر غريبويدوف عند العتبة، وهو في ثوب منزلي ومعه غليونه، لايلاحظونه.

من الذي سطر لهم الشكاوى ؟أي «كاتب ديواني»؟ أم أنهم، هم ذاتهم، يقرأون ويكتبون؟ لقد صاروا أذكياء، مع أنهم أوباش؟ «العلم نور». أهذا كلام يصدق؟ يقدمون شكوى ضد سيدتهم؟ والرسول من؟ نيكيفوروف. وجواز السفر؟ -عبد هارب. سيرسلونه كمشرد إلى سيبيريا، وسيحبسونه وراء الأسوار. آه أيها الفلاحون - أعطوني وقتاً فقط لأحكم عليكم وانكل بكم. سأذهب إلى المحافظ، فالأمير فيودور حمو ابنته. وهو سيرسل الجنود فوراً.. وأنت أيها الأبله، على ماذا كنت تتفرج؟ ألم تقدر أن تنبهني، أيها

المحتال العتيق، قبل الآن؟ أم أنك متآمر مع الفلاحين (تضرب الناظر) . .

- **غريبويدوف**: ماما .

- **ناستاسيافيودوروفنا**: أنت هنا؟ هاهي ذي أفكاركم الجديدة. ليس منها إلا الشرور. خرجت من عند أبناء السادة فوصلت إلى الفلاحين . أنهم يتمردون ولا يريدون دفع الضريبة . .

-**غريبويدوف**: قد يفيد أن تخفضي الضريبة؟ أتظنين ياأماه أن دفعها سهل على الفلاحين؟ .

- **ناستاسيا فيودوروفنا**: (تدفع الناظر إلى الخارج ، فيدرك الناظر الأمر ويختفي) تفضلوا ، هذا ابني ويغمض عينيه عن أعمال المشاغبين. سهل على الفلاحين؟ . . وعلي أنا؟ . . من أين آتي بالنقود؟ ألا ترى أنك ترتدي أثواب الحرير وليس الخيش . . عندك خمر وخيول وخدم . . من يقدم لك كل هذا ؟ أمك . .

- **الكسي فيودوروفيتش** :مرحباًساشنكا . لقد أصبحت رجلاً .

-**غريبويدوف**: أنا مسرور برؤيتك ياخال. (**يحضن كلاهما الآخر**).

- **الكسي فيودوروفيتش**: أين معطفك الرسمي، أيها الدبلوماسي.

- **غريبويدوف**: (**متوجهاً نحو الباب**) ساشكا- البذلة..

(**يدخل ساشكا**) هات المعطف.

ساشكا يحضر معطفاً رسمياً جديداً، كالذي يرتديه المستشارون في هيئة الشؤون الخارجية)..

كيف تراه ياخال؟

- **الكسي فيودوروفيتش**: جميل. جوخ ممتاز.. لكنه يحتاج هنا..

- **غريبويدوف**: إلى ماذا؟

- **الكسي فيودوروفيتش**: وسام « الأسد والشمس».

(**يقهقه عالياً، ضاحكاً من سخريته**) حتماً سينعم الشاه الايراني به عليك، ولكن أياك أن ترتكب خطأً. قل للسفيرأن يلمح للشاه بذلك، فصدور

الدبلوماسيين مغطاة بالأوسمة. إنهم يحسنون التقاط النجوم..

- **غريبويدوف**: أنا لن أحسن لاطأطأة الرأس ولا احناء الظهر من أجل زركشة الصدر.

- **ناستاسيا فيودوروفنا**: كما ترى، كلنا شمم وإباء مستشار، وبإمكانه أن يكون قاضياً. أوَ نفتقر إلى الصّلات؟ غير أن جوابه الوحيد: «لن أنحني». متكبر، ناكر للجميل.

- **الكسي فيودوروفيتش**: ذات مرة كنت ياأخانا..

- **ناستاسيافيودوروفنا**: نحن لسنا قدوة لهم. ألم يطالبنا الله بأن نسجد له حتى تطال رؤوسنا الأرض. إذا تعلمت الانحناء تتوفر لك القوة.

- **غريبويدوف**: وإن لم أتعلم - سيكسرون ظهري؟

- **ناستاسيا فيودوروفنا**: سيقتلك عنادك.. أترى- ليس بحاجة لا للمال ولا للمناصب..

- **غريبويدوف**: ليس واجباً على الجميع، ياأمي، أن يحلموا بالمصالح.

- ناستاسيا فيودوروفنا: أنا لم أعلمك لكي تتسكع بلا عمل.
- غريبويدوف: هناك أعمال هامة كرست لها نفسي كلياً.
- الكسي فيودوروفيتش: ماهي؟
- غريبويدوف (دون حماس) الموسيقى والشعر..
- ناستاسيافيودوروفنا: أوي. لاتضحكني. أعمال لطيفة. أنا نفسي كنت أحب الغناء والرقص، لكنني أستطيع التمييز بين الجد واللعب. وهل تحتاج إلى جهد كبير لتكتب مسرحية. اكتب لهوايتك، كما يقولون.
- الكسي فيودوروفيتش: لقد نسيت عائلتنا الحالية ماعلمونا إياه عن أن «للجد وقت وللتسلية وقت».
- ناستاسيافيودوروفنا: الناس يصنعون مستقبلهم بعقل وذكاء. خذ مثلاً فيودور فيودوروفيتش كوكوشكين: وظيفته مدعٍ عام، وهوايته المسرح. وهو الآن يدير عدة مسارح. لقد أصبح بنقوده، وهو في الخمسين، رجل دولة فعلي. وهو على جدول الرتب - جنرال..

- **غريبويدوف**: إذن فهو ليس غبياً . إلا أنني بالأمس
نمت أثناءعرض مسرحيته . كان الفصل الأول
منها سخيفاً .
- **ناستاسيا فيودوروفنا**: حسود . انت تنتقده مع أنك تكتب
أشعاراً بائسة سخيفة . ليتك تسكت، أيها
المستشار . كل المجتمع الراقي يلهج باسم
كوكوشكين، وستظل مسرحياته تعرض ولو
بعد مائة وخمسين سنة . أما أشعارك فسينسون
حتى التفكير فيها .
- **غريبويدوف**: عفوك ياأمي . لقد حان موعد خروجي .
- **ناستاسيافيودوروفنا**: هاقد غضب . حسناً سنترك
النقاش . وأي نقاش هذا؟
- **غريبويدوف**: علي أن أذهب . .
- **ناستاسيافيودوروفنا**: هكذا باكراً، ومن باب الحديقة؟
ودون أن تأكل؟ اجلس قليلاً مع خالك .
- **الكسي فيودوروفيتش**: لقد قطعت موسكو كلها من
أجلك . أتراك ذاهباً إلى إحدى الممثلات؟
- **غريبويدوف**: لا . إلى ماهو أبعد . إلى طهران .

- **ناستاسيافيودوروفنا**: كيف هذا، ساشنكا؟ كنت تنوي السفر يوم السبت.
- **غريبوييدوف**: لا. سأسافر الآن. عندك همومك وعندي همومي.
- **ناستاسيافيودوروفنا**: كيف تفعل هذا؟ ماذا أصابك؟ كانت براسكوفيا نيلوفنا تريد.. والأمير إيفان..
- **الكسي فيودوروفيتش**: لم انتظر ياأخانا منك مثل هذه المفاجأة. أنت لم تر بعد بنات خالك -سوفوتشكاوليزا مشتاقتان إليك.
- **غريبوييدوف**: ماذا بيدي أن أفعل؟ سمعت أن ليزا قد خُطبتَ.
- **الكسي فيودوروفيتش**: نعم. للواء باسكيفيتش. ضرب الأتراك، واحتل باريس، والأمراء الكبار يودون الخدمة تحت امرته، وكل الوزراء اصدقاؤه..
- **غريبوييدوف**: إذن هنيء، نيابة عني، ليزا واللواء، فهو سيكون صهراً نافعاً حقاً.

- الكسي فيودوروفيتش: وسينفعك يوماً ما.
- غريبويدوف: من يدري؟
- الكسي فيودوروفيتش: الأقارب يساعدون بعضهم دائماً ياأخانا.
- غريبويدوف: سأذهب لأجهز نفسي للسفر..
- ناستاسيافيودوروفنا: ليتك تبقى يوماً آخر يابني.
- الكسي فيودوروفيتش: بالله عليك.
- غريبويدوف: أنا في عمل والعمل لاينتظر..
- ناستاسيافيودوروفنا: (تندفع لمعانقة ابنها) لاتغضب على أمك.

المشهد الخامس - كانون الأول ١٨٢١

مدينة تفليس - شقة غريبويدوف
غريبويدوف يجلس وراء المنضدة..يكتب
- يده اليسرى مضمدة..

- غريبويدوف: بعد إقامتي في إيران ثلاث سنوات إلا القليل أصبحت تفليس بالنسبة لي جنة، حينما يكون الطقس جميلاً.

(يدخل كيوخيلبيكر) ولهلم، هذا أنت؟ لم أتوقعك . .

(يتعانقان)

فيما شقاوتك هذه المرة؟ أنفوك؟ بأي ذنب؟

-كيوخيلبيكر: لا . .

- **غريبويدوف**: مااللذي ساقك إلى أصقاعنا القصية؟

- كيوخيلبيكر: طريقي إلى العاصمة، ياأخ، مسدود. لقد تقدمت إلى وزارة المعارف، إلى مجلسها العلمي، لكن الجواب صمت ومنع ورفض . .

- **غريبويدوف**: م م . . أَجَل . .

- كيوخيلبيكر: لقد قويت مطاردة الأساتذة، وجامعة العاصمة تنتظر الخراب، بعد جامعة قازان. أما الفكر الحر . .

- **غريبويدوف**: لاتكمل. أمر معروف . البوم يحب الظلام ويكره النور. فليكن. ولكن لماذا أصبحت عادة أن نجعل التعليم مصدر رزقنا؟

- كيوخيليبكر: كنت أريد تأسيس مجلة . .

- **غريبويدوف**: هنا ياأخانا تلزمك مهارة خاصة ورأس مال . وعندك ياصديقي . .

- كيوخيليبكر: ليست عندي أية نقود أبداً .

- **غريبويدوف**: ولاقرى موروثة . .

- كيوخيليبكر: في هذه الحالة أخذني للعمل عنده . .

- **غريبويدوف**: جنرالنا المتنور؟

- كيوخيليبكر: أجل، أخذني يرمولوف معه .

- **غريبويدوف**: فهو لايحب متعبدي العاصمة، إضافة إلى أنه مسرور منك . . لكنهم يقولون أنك كنت في أوروبا، ألا تحدثنا؟

- كيوخيليبكر: عن كل شيء . . عن زاند وعن لوفيل . . آخر ساعات التسلط تدق، ويبدو لي أن دورنا سيجيء قريباً . .

- **غريبويدوف**: حقاً؟ أهو كذلك؟

- كيوخيليكر: هاهي تغلي. أيعقل ألا يحرك يرمولوف جيشه لأجل الأهداف النبيلة؟

-**غريبويدوف**: أشك في ذلك؟

- كيوخيليكر: وأنت، هل تكتب؟ ماذا تكتب؟

- **غريبويدوف**: أنا، ياويللي، دبلوماسي. أهتم الآن بمصالح الدولة وأكتب أوراقاً حكومية. على كل حال.. فليكن الأمر كذلك.. ستستغرب. سأعترف، ولك فقط، عن أحد أهوائي.. فكرة قديمة.. كنت قد ألغيتها.. ولكن، حلمت مرة في تبريز، في إيران، حلماً شيطانياً: كنت في احتفال في بيت غريب.. عند مدخل القاعة الغاصة بالناس التقيت بصديق قديم: «ماذا؟ هل كتبت؟» أجبته: «أكتب ماتتطلبه الخدمة، وغير ذلك ولا أي سطر، تركت هذا. مشاغل وانعدام أفكار». عندها قال لي الصديق بصراحة: «عليك أن تكتب. هل ستفعل؟ عدني».

ومتى يجب أن أنجز الكتابة؟ «أعطيك مهلة سنة، عدني أن تفعل». «اعدك». «أيعقل أن تقتل موهبتك بالكسل»؟. وافقت. ومنذ ذلك اليوم لاأدخر جهداً، وأنا شاكر للحلم. ليس عندي الآن إلاّ هدف واحد- أن أنفذ في اليقظة ماوعدت به في المنام.

- كيوخيلبيكر: وهل تكتب؟

- **غريبويدوف**: نعم. أكتب ياأخي..

- كيوخيلبيكر: ماذا تكتب؟

- **غريبويدوف**: ملهاة.

- كيوخيلبيكر: عن ماذا؟

- **غريبويدوف**: أظن أنها ستوسم بالعداء لموسكو..

- كيوخيلبيكر: وهل انقضت السنة؟

- **غريبويدوف**: لاأخفيك أنني تأخرت. لكنني كتبت شيئاً ما..

- كيوخيلبيكر: هلاّ قرأته لي؟

- **غريبويدوف**: فيما بعد.

(يأخذ بالعزف على البيانو بيد واحدة).

- كيوخيلبيكر: ماذا حل بيدك؟
- **غريبويدوف**: كبا الجواد فانكسرت . .
- كيوخيلبيكر: ومابال أصبعك . ؟
- **غريبويدوف**: علامة تركها ياكوبوفيتش . تبارزت معه فأصابني في كفي .

(**قرع على الباب . يدخل يرمولوف**).

- **يرمولوف**: ألم أزعجكما؟
- **غريبويدوف**: بعض الشيء ، ياالكسي بتروفيتش .
- **يرمولوف**: لقد أملّتني الشؤون المقرفة، لذلك اسمحا لي، أيها الشاعران الطيبان، بالانضمام إلى مجلسكما . عم كنتما تتحدثان؟ هيا اكشفا أسراركما العسكرية . عمَّ كنتما تتحدثان؟
- كيوخيلبيكر: عن . .
- **غريبويدوف**: (بسرعة) عن الشعر . لقد قيض لكيوخيلبيكر أن يلتقي أثناء تجواله في أوروبا بالكثيرين .
- **يرمولوف**: وأن يكسر خلال نقاشاته الكثير من النصال .

-**غريبوييدوف**: هل التقيت بغوته؟

- **كيوخيلبيكر**: لقد أمضيت نصف نهار بكامله مع المبدع الأول في عصرنا. .

- **يرمولوف**: لو كان عند الاغريق أو الرومان شاعر ومفكر مثله لكان محط افتخارهم. .

(**كيوخيلبيكر ينتفض**).

- **غريبوييدوف**: (**بصوت منخض**) مهلاً - القدماء. (بصوت عال) إنه موهبة عظيمة، إلاّ أنه في الأمور الأخرى متحذلق: فهو يرفض بعناد الإقرار بأن الدراما، ككل شيء في الدنيا، تتغير، إذ أن الزمن يمضي. هو يرفض الإقرار بأن هناك كوميديا مريرة، مثلما هي الحياة. فالمسرح ليس شبيهاً بالمعبد. .

- **كيرفيلبيكر**: كلا. وولفغانغ غوته - إله.

- **غريبوييدوف**: لاأجادل في أنه عظيم، لكنه قيل «لاتصنعوا لكم أوثاناً». بمن التقيت أيضاً؟

- **كيوخيلبيكر**: التقيت بلودفيغ تيك، وقرأ لي ترجمته

لشكسبير. يالقوة المشاعر ويالروعةاللغة. لقد قدم هذا الشاعر، إذ رأى أن من واجبه خدمة الترجمة، قدم شكسبير هدية للشعب الألماني..

-يرمولوف: لن يضيركما أيضاً أن تقتديا به: ترجما غوته وشكسبير. وسيقول لكما الشعب الروسي شكراً على «فاوست» و «هملت»، و«الملك لير». إن واجبكم المقدس، ياأصدقائي، هو الذي سيوقد لنا مشعل التنوير.

(يدخل الياور)

هل من أمر مستعجل؟

– الياور: تمام سيدي. تقارير.

– يرمولوف: (وقد أمسك الورقة) أنها سخافة فعلاً. يالها من تفاهة. لايتركوننا ننسى أنفسنا ولو عشر دقائق.

– كيوخيليبكر: (لغريبوييدوف بصوت منخفض) أترى، بصمات رفعة التفكير بادية على جبينه. ياله من نفس كريمة وذهن متفتح..

-يرمولوف: (منتفضاً) ادرسوا القرية وسووها مع الأرض. اعدموا الرهائن.

(يخرج يرمولوف بسرعة وخلفه الياور. كيوخيليبيكر وكأن صاعقة نزلت عليه. غريبوييدوف يكشر ضاحكاً ضحكة غير فرحة. مشهد صامت).

- كيوخيليبيكر: مامعنى هذا؟

- غريبوييدوف: ماذا؟ أنت مازلت جديداً عندنا. وهنا ياأخي ليست اوروبا، هنا القفقاس، هنا حدود الشرق. هنا لأصغر الأمور يجرد الصبي خنجره. لذا يجب على ليبرالينا، اعني على جنرالنا، أن يحكم بالحديد والنار، فهو في الخدمة، مثلي ومثلك. أقصد أنه قد يعاقب وقد يُجرَ من رقبته.

- كيوخيليبيكر: لكن عنده نظرات منفتحة واسعة الأفق.

غريبوييدوف: إلا أن المعطف العسكري ضيق مع الأسف. فعلى الرغم من نظراته الواسعة قطع دمدمة أغاني الحرية وراح ليعلق القرية على الحراب.

- كيوفيلبيكر: المعطف، وماشأن المعطف؟ لو أراد - والجيش كله رهن يديه - أرهب القياصرة فزعاً، ولتغير العالم كله في عام أو اثنين.
- **غريبويدوف**: متحمس أنت ياصديقي العزيز. بَرِّد حماسك بالتدريج. من يسمعك يظن أن قلب العالم وبدء نظام عادل ليس أصعب من قلب تربة حديقة صغيرة إلا قليلاً.
- كيوخيلبيكر: قد أكون أنا متحمساً، ولكن أنت، لماذا يقيدك البرود ياغريبويبيديف؟ أم أنك تهادنت مع هذا النظام البربري الذي يمقته الضمير والعقل والفؤاد؟ لست أصدق! قل لي إلى متى سنتحمل هذا التسلط المقيت؟ وهل سيظل شعبنا يعيش في البؤس والجهل والقهر طويلاً؟ إنظر إلى الماضي وتذكر: لم يمض على تحرير جندينا الروسي لأوروبا من التسلط إلا ست سنوات(*)، وهاهو البطل العائد إلى وطنه

(*) المقصود هزيمة نابليون في روسيا سنة ١٨١٢.

منتصراً يعامل من جديد مثلما يعامل العبيد معدومو الحقوق. تدريب قاس واضطهاد ومذلة، لاسكن ولاأسرة طوال ربع قرن من الخدمة القيصرية، وشقيقه يفلح أرض السادة ويعيش أيامه البائسة كئيباً. هل أصبح ماضياً منسياً يوم دافع هؤلاء الرجال عنا بصدورهم؟ ومع ذلك، لماذا نحزن على شعبنا؟

- **غريسوبيدوف**: أجل. عندما كنا نغرق وعدناهم بالفؤوس، وعندما عُمنا استكثرنا عليهم مقابض الفؤوس.

- **كيوخيلبيكر**: أيعقل ألا تستطيب العذاب من أجل الوطن؟ ألا ترى من المعيب أن يتولى القضاء دجال وأن يرعى العلم ظلامي؟ لقد خدعنا القيصر الماكر، فذرا كل آمالنا، ورحنا نغوص في مستنقع الخمول كالسابق. يبدأ سبيرانسكي فينتهي أراكييفيتش. . آه، لو أراد يرمولوف لكنا نحن وإياك شهوداً على أعمال عظام. .

- **غريبويدوف**: لا ياأخي. يرمولوف لن يريد ذلك.
- **كيوخيلبيكر**: ولكن لماذا؟ أم أنه لا يرى مانعرفه نحن؟
- **غريبويدوف**: حتى لو عرف ضعف مانعرف. الآمال شيء والسياسة شيء آخر. في السياسة كما في الشطرنج: فكرأولاً، وزن واحسب لا لخطوة واحدة أو خطوتين فحسب، بل لأكثر من ذلك. في السياسة اخضع اندفاعك لفكرة راسخة. يجب أن تكون صلب الارادة صافي الذهن. وأنت مستعجل: هاهي اليونان، وماذا بعدها.. موسكو؟ ليس سيئاً أن نعرف قبل تنفيذ هذه الخطوة من الذي سيدعم البادئين البواسل؟
- **كيوخيلبيكر**: الشعب.
- **غريبويدوف**: شعبنا يتألف من أسياد وأقنان، فعمن منهم تتحدث: عن الأولين؟ عن الثانين؟ انصار نظم القنانة مرتاحون للسلطة الفردية التسلطية..

- كيوخيلبيكر: أَوَقلة نحن الطليعيون؟

-غريبويدوف: لسنا كثرة. وهذه هي المصيبة. حتى نحن - أعداء الظلم والزيف والعبودية والظلام - ترانا مشدودين احياناً إلى عجلة العار هذه. . ألم تسمع بتلك الاقطاعية التي تقع املاكها قرب كوستروما، والتي شغلت عندها كتيبة عسكرية، وإسمها ناستاسيا فيودوروفنا؟ إنها والدتي. . نعم. . هكذا. .

- كيوخيلبيكر: لكن الشعب البسيط. .

- غريبويدوف : أتظن أنه سيفهمنا؟ إذا اشترك الفلاحون في العراك، فإنهم سيسحقون السادة عن بكرة أبيهم، بمن فيهم من كان في المعطف العسكري أو في البذلة المدنية. هل سيدفع هذا روسيا إلى الأمام؟ أم أنها ستغرق في وحل الظلامية الأولى، كلا، لن يستطيع غضب العبيد الحاقدين أن يحافظ على شتلات الخير الموجودة بين الشيح. حكم رومانوف سيء - نعم. ولكن هل سيكون بوغاتشوف أفضل؟

- كيوخيلبيكر: لماذا نقف مكتوفي الأيدي. بينما اوروبا كلها تمور بالأفكار الطليعية؟
- **غريبويدوف**: لن نستطيع انتشال العربة الروسية من المستنقع إذا لم يكن هناك الاف الناس المفكرين الفاعلين. .
- كيوخيلبيكر: إذن ماذا. . أننتظر؟
- **غريبويدوف**: وهل يسعدك أن يوقعك التسرع وطيش الخطوات في المستنقع؟ علينا أولاً أن نمهد الطريق ونرصفه لا أن نلقي التبعة فيما بعد على سوء التصرف. ربما لن نمتطي نحن جياد التغيير، بل أبناؤنا أو أحفادنا . لقد كان يرمولوف على حق عندما قال: علينا أن نحرك العقول. سيجري ماء كثير. . ودماء، قبل أن تشع علينا نجمة الحرية. وأنا أعتقد أن الحاجة الأهم الآن هي إلى. .
- كيوخيلبيكر: إلى ماذا؟
- **غريبويدوف**: (يخرج من المصنفات مجموعة من الأوراق ويأخذ بتقبيلها متفكراً) إلى الكلمة. .

المشـــهـد السادس - اذار ١٨٢٣

موسكو، غرفة نوم الكساندر في بيت أهله
- غريبويدوف وحده في ثوب النوم، يقرأ
أوراقاً مكتوبة ثم يرميها في نار المدفأة..

(يقرأ) لن أنسى ماحييت ثوب معلمي

أصبعه السبابة والتماع صلعته

لن أنسى كيف اعتادت عقولنا الوجلة المرعوبة

لن أنسى كيف اعتدنا منذ قديم الزمان

التصديق والتسليم .

بأن لاشيء أسمى من الألماني . .

(يرمي الورقة في المدفأة، ويتابع خطوه في الغرفة)

أستاذنا ، أتذكرون قلبقه وثوبه

أصبعه السبابة وكل موشرات العالم عنده

أتذكرون كيف أرعبوا عقولنا الوجلة

أتذكرون كيف اعتدنا منذ قديم الزمان
التصديق والتسليم
بأن لامنقذ لنا غير الألمان .
(يمسك ورقة أخرى ويقرأ).
من هم القضاة فينا؟
يجب أن يقالوا بفعل تقادم الزمن .
فلا حديث لهم إلا حديث القصر والبلاط
يستخلصون الأحكام من الجرائد المنسية
جرائد السبعمائة والثمانين . .
(يرمي الورقة في المدفأة).
(يدخل بيغيتشيف الذي سمح له ساشكا بدخول الغرفة ، ويندفع نحو غريبوييدوف ممسكاً يده، محاولاً انقاذ الورقة).
- **بيغيتشيف** : مابالك ، هل جننت؟
- **غريبوييدوف**: جننت؟
- **بيغيتشيف** : نعم . جننت؟ أصابك الخبل؟ طار عقلك؟
- **غريبوييدوف**: جننت وأصابني الخبل . هه .
(يضرب على جبينه)

- **يغيتشيف**: ماباللك تنقر مثل نقار الخشب؟ وفعلاً، هل عقلك في مكانه؟

- **غريويدوف**: تماماً.

- **يغيتشيف**: أين كتاباتك؟

- **غريويدوف**: احترقت. لقد كنتَ بالأمس محقاً في الكثير. ومع أن انتقادك مسني، فأنت كنت تنتقدمن أجل قضية.. بعد أن ذهبت بالأمس، انكببت على الكتابة حتى الصباح. قرأت الفصلين أكثر من عشر موات. خذفت كلمات واضفت كلمات. لقد آن الأوان للبوح بكل شيء..

- **يغيتشيف**: أحرقَتَ الملهاة؟

- **غريويدوف**: أحْرَقتُ الورقَ. ليس مهماً. لقد أعدت ترتيب كل شيء في رأسي. لكنك اوحيت لي بفكرة لطيفة: شائعة الجنون تنتشر في موسكو. بهذا سأدعم المشهد الثالث.

- **يغيتشيف**: الحمد لله. لقد أزحت الهم عن صدري، وقد كنت ظننت أنك..

- **غريبويدوف**: لا . سأنفذ مابذهني لأغيظ كل حقير .
أنهم يتوهمون أن عالمهم راسخ لايهتز، لأن
السلطة بيدهم وهم الأكرمون، وقد آن الأوان
لكي نقذف بهم خارجاً وأن نصفعهم جهاراً .
وليتفرج الشعب على زبدة المجتمع المخلصة،
لتتفرج على زبدة المجتمع حثالته . ليس الفأس
وحده القتال، بل الضحك الرفيع يقتل أيضاً .
وخشبة المسرح هي منصة الإعدام . .
- **بيغيتشيف** : أنا سعيد يا الكساندر لأنك تبرز موهبتك في
القضية الحقيقية . لاتضعف وانظر كم هي كثيرة
المصاعب أمامنا .
- **غريبويدوف**: غير أنني لاأرى لنفسي هدفاً الآن . .
- **بيغيتشيف** : انظر - أنا سأذهب يوم الأربعاء القادم إلى
القرية ، إلى دميتروفسكويه، تعال معي،
فتقضي الصيف كله . هناك الهدوء وهناك رحابة
الافاق . هناك جنة الشاعر . ستعيش هناك في
خيمة البستان حراً من المشاغل منسجماً مع ربة

شعرك، أكتب، هناك، ولو منذ الشروق. قرر ياصديقي العزيز.

- **غريبوييدوف**: أنا بحاجة ياستيبان لأن أتجول في موسكو، ولأن أقوم بحوالي مائتي زيارة وأساير الصغير والكبير. علي أن أتدافع مع الناس حول موائد القمار وفي صالات الرقص، وأن أصغي في حفلات التنكر إلى لغو الربات والراعيات والحوريات. علي أن أكرس امسية أو اثنتين - رغبت أو لم أرغب - لمناظرات النادي الانكليزي.

- **بيغيتشيف**: أنت تمزح ياألكساندر؟ أمن أجل هذا ظللت نصف شهر مسافراً في عربة البريد؟ أجئت لتلهو في المدينة..؟

- **غريبوييدوف**: تماماً، مثلماً يذهب النطاسي إلى الوباء. هذا اللهو المقرف بالنسبة لي، ضروري للقضية ياستيبان. سأذهب إلى معسكر الأعداء كشافاً فليمرحوا هم هنيئاً، بينما أنا أرى بصمت

وبأسهل السبل تفاهة اقنعتهم، وأسمع سخف حديثهم . .

- **بيغيتشيف**: إذن، توجه إلى زحام موسكو وخذ من هناك ملاحظاتك، ثم تكرم بالعودة إلي .

- **غريبوييدوف**: سآتي إلى خيمة بستانك في تموز .

المشهد السابع - أيار ١٨٢٤

(نفس المكان، يدخل غريبوييدوف وبيغيتشيف)

- **غريبوييدوف**: هاقد مر أكثر من عام على قراءتي لك أول مرة مقاطع من العمل الذي أنجزته . والآن، ماذا؟ من سمع به؟ هؤلاء يمكن عدهم على أصابع اليد : أنت، كيوخيلبيكر، اودويفسكي، فيلغورسكي، آليابييف وفيازيمسكي . . طبعاً رأي الأصدقاء عزيز علي، ولكن أيعقل أن يكون مصير مسرحيتي أن تسمع فقط في صالونات الأصدقاء؟ فما الفائدة من تعريف العارفين؟ .

- **بيغيتشيف**: إلا أن موسكو كلها تتحدث عنك .

- **غريبويدوف**: وهل هذا ماأبغيه؟ إن فرحة المؤلف الوحيدة أن يرى كلماته التي سطرها والتي يريد أن يهز بها ضمير شعبه وأن يعزز بها الإرادات الطيبة قد صارت سلاحاً في المعركة ضد الشر. لقد آن الأوان لتطبع ملهاتي ولتظهر على خشبة المسرح . طوال الشتاء كنت اناطح الجدران. أهي دسيسة خسيسة أم رفض صريح؟ ليس في هذا مايدهش - فقد رأى المتحكمون من الوجهاء وأصحاب المقامات أنفسهم فجأة بالمرآة دون تزويق. فاللوحات المرسومة نقلاً عن الطبيعة والأصول مباشرة سرعان ماتذيع الخبر: «ليست هناك وجوه حية . كلها رسوم كاريكاتورية». «هذه الملهاة هجاء لموسكو» وهم يمسكون بأيديهم مقاليد المسرح والرقابة. لا. يجب أن أذهب إلى بطرسبورغ.
- **بيغيتشيف**: وهناك أيضاً توجد رقابة.
- **غريبويدوف**: لا. لاتقل. العاصمة هي العاصمة. وإذا

كنت جريئاً ومقداماً تستطيع تحقيق ما تريد. أما في النواحي - فيبدو لي أن عجرفتهم مضاعفة ولؤمهم مضاعف.

- **بيغيتشيف**: مادمت قد عزمت فاعل. ولكن هل سيأتي هذا بنفع كبير؟ أخشى ياأخي ألا ينتج عن هذا إلا العذاب..

- **غريبويدوف**: لو كنت مكاني، ماذا كنت ستفعل؟

- **بيغيتشيف**: آه. أنا لاأحب هذا البهرج. لو كانت لي موهبتك لاعتكفت منذ زمن طويل في القرية ورحت أكتب وأكتب، بعيداً عن تقريظات الناس وعن حسد الناس وعن لؤمهم.

- **غريبويدوف**: تكتب؟ لمن؟ لذاتك؟

- **بيغيتشيف**: لابد أن يقرأوها ذات يوم! تحلَّ بالصبر.

- **غريبويدوف**: لابد أن يقرأوها ذات يوم! وجيلنا؟ أنا أحب وطني وأرى أن الطريق إلى سعادته يمر عبر التنوير. ومادمت قد وجدت في نفسي القوة الكافية، وبما أنني استطعت أن اصور قروح المجتمع في لوحة حية مرئية، أيجوز أن أترك هذا

الجهد في منتصفه؟ بيتي الحبيب محاط بالنيران ، فهل يعقل أن أهرب طلباً للسلامة ، في حين يعربد اللهب الشرير فيه؟ كلاعلى أن أقرع ناقوس الخطر .

- **بيغيتشيف**: أنت على حق وأنا فخور بك . ولكن إذا ساءت بك الأحوال تذكر بيغيتشيف . فقد قضيت في القرية . .

- **غريبويدوف**: أسعد الأيام . .

(**قرع على الباب . تدخل ناستاسيا فيودوروفنا**) .

- **ناستاسيافيودوروفنا**: أنت في البيت ياالسكاندر؟ آه ، أنت - كما أرى - مشغول .

- **بيغيتشيف**: ناستاسيا فيودوروفنا (**ينحني**)

- **ناستاسيا فيودوروفنا**: لن أعيقك ، ستيبان نيكيتيتش .

- **غريبويدوف**: (**لبيغيتشيف**) سأعرج عليك في طريقي .

- **بيغيتشيف**: اترك لي المخطوط ، فأنت وعدتني بذلك (**يغادر**) .

- **ناستاسيا فيودوروفنا**. اسمع، ساشنكا، لقد قال لي صديقك غريبوف انك ذاهب الى بطرسبورغ.
أنا قلقة عليك ياعزيزي.

- **غريبويدوف**: على ماذا تقلقين ياأمي : على ماذا؟

- **ناستاسيافيودوروفنا**: على أطفالي . عليك وعلى ماشا.
من غيري يجب أن يحافظ على بيتنا وعلى عزنا الطيب؟ وأنت ياصديقي - مع عدم المؤاخذة -لاتساعدني على هذا أبداً. نعم، أنت لست صغيراً، وقريباً ستبلغ الثلاثين . إلا أنك تفتقر إلى الأساس. أما كفاك أشعاراً وحكايات؟ أم أنه لاشغل عندك أهم من هذا؟ لقد سمعت أنك كتبت مسرحية وقحة فضخت وشهرت فيها بمعارفنا وأقربائنا من أكثر الناس احتراماً. أتظن أنك بهذا ستعطي لنفسك في المجتمع وزناً؟

- **غريبويدوف**: ماأخشاه ياأمي أن يكون كل منا عاجزاً عن فهم الآخر. فأنت قد أسأت التفسير . .

ناستاسيافيودورفنا: وهل أستطيع أنا أن أفهم شيئاً؟ أنا

حمقاء. ليس هناك إلا شيء واحد أفهمه: أنت لاتحترم أمك. ومسرحيتك الفاضحة لن تجلب لعائلتنا السمعة الطيبة، بل ستجلب العار، وسيقفل أهل موسكو كلهم أبوابهم دوننا. من سيفرح لهذا؟ الشباب الطائشون المشاغبون. أنت عندك أم وأخت، وقد آن الأوان لتصبح سنداً لأسرتك. هاأنت في إجازة أكثر من سنة. تأجيل وتأجيل. ماهو الشيء الذي حققت فيه نجاحاً؟ ماهو دخلك؟ نظمت سطوراً لاذعة مجرحة وكسبت أعداء؟ والآن، تنوي الذهاب الى بطرسبورغ؟ اذهب. مع السلامة. ولكن قل لي: ماذا في ذهنك؟ جد أم مزاح؟ أظن أن عائلتنا لاينقصها شيء، وعلى البلاط أن يلاحظك. لنا علاقات قديمة، ولم ينسنا الجميع بعد. زوج ليزا ايفان باسكيفيتش على قدر كبير من القوة ويده طائلة. أياك أن تقرأ أمامه أشعارك.

-**غريبويدوف**: أمامه؟ ماذا تظنين ياأماه.

- **ناستاسيا فيودوروفنا**: كل شيء عندك ضحك بضحك .
افهم أن الحياة ليست تسلية فقط ، فالمكانة مهمة وكذلك الدخل . ساير باسكيفيتش ، فلن يخيب أملك ، وهو سيقدمك للأمراء الكبار وبذكائك ستمضي قدماً ، فلا ترى نفسك إلا وقد ثبتوك في الهيئة . وعندئذ سيفتح امامك الطريق الى المناصب والمكافآت . .
- **غريبوييدوف**: الهذه الدرجةسيكون الطريق مفتوحاً؟
- **ناستاسيا فيودوروفنا**: اسمع ، ربما قد حضرت لنا مفاجأة؟ هل تريد ترك الخدمة؟ ستقتلنا وتقتل نفسك . بيتنا وكل ضياعنا مرهونة . استفق يابني كرمى للمسيح . .
(**تجثو أمامه على ركبتها**).
- **غريبوييدوف**: (**مرتبكاً**) أيعقل هذا ياأمي؟ . (**ينهضها**) لم يخطر لي هذا ببال أبداً .
- **ناستاسيافيودوروفنا**: لم يخطر لك هذا ببال؟ حقاً ؟ الحمد الله . اصدقك ياعزيزي . . غير أني أدق

ناقوس الخطر . اسمع . أياك أن تخدعني . .
عدني أمام الايقونة ياساشا بأنك ستبقى في الوظيفة ولن، لن ، لن . . .

(يقف غريبوييدوف مرغماً ومحرجاً أمام أمه على ركبتيه ويرسم شارة الصليب).

اسمعينا ياشفيعتنا وأنت في السموات . أيتها الطاهرة . .

المشهد الثامن - حزيران ١٨٢٤

شقة ايفان اندرييفيتش كريلوف "*" في بطرسبورغ (كريلوف وغريبوييدوف)

- غريبوييدوف: (يقرأ) «مجنون . بماذا يسمح لنفسه أن يتفوه، هذا المتزلف ، وبهذا الحقد عن موسكو! ياإلهي ، ماذا قد تقول الأميرة ماريا الكسييفنا» .

"*" كريلوف : شاعر روسي كبير كان يكتب الشعر والقصص على لسان الحيوانات . وأمثال كريلوف مشهورة في الأدب الروسي كشهرة كليلة ودمنة في الأدب العربي وأمثال لافونتين في الأدب الفرنسي .

- **كريلوف**: شكراً. لاأستطيع أن أجد الكلمات المناسبة
« سخرية دائمة من الأسود والصقور. . » هذا
لطف منك يابني. . ماالذي قادك إلى كوخي؟
هل أنت آت من القفقاس؟

- **غريبويدوف**: لقد وصلت من موسكو مساء أمس،
واليوم جئت إليك فوراً.

- **كريلوف**: شكراً ياصديقي الطيب. وبما أنك تحتاج الى
رأيي، سأقول لك: في هذه اللوحات حياة.
إنها شعر ممتاز وعمل مجيد ومفيد. . ولكن
يابني لاتتوقع أكاليل الغار فقط، بل ينتظرك
الكثير من الأشواك، إذ لايفرح كل من
تعارضه، إضافة إلى وجود مايمكن الإعتراض
عليه هنا. لاتغضب: لقد دخل سنقورك قن
الدجاج، والدجاج لايطير عالياً، فأمام من
يطرح الذكي لآلئه؟ وإلى من يوجه خطابه؟

- **غريبوف**: وإذا وجهه للمشاهدين؟

- **كريلوف**: م م . . هناك مالاأفهمه. في الطبيعة ذاتها

يوجد فرق بين الرفيع والمضحك. فالهجاء والبلاغة لايجتمعان، وإذا وضعنا وجهاً انثوياً جميلاً على جسم طير، أفلا يكون هذا مخالفاً لطبيعة الأشياء؟

- **غريبويدوف**: ومع ذلك، يوجد مثل هذا المخلوق. أنا رأيته بنفسي في بيرسيبول(*). وقد صنعه نحات مجهول، كان اسمه غريفون. أفلا يحق للشاعر أن يصنع مالاوجود له في الطبيعة وأن يخلق أفكاراً جديدة؟

- **كريلوف**: ربما أصبحت عجوزاً. فأنتم الشباب أدرى. المهم أن لا يثير انتقادي غضبك.

- **غريبويدوف**: أنا لست غاضباً أبداً..

- **كريلوف**: هل النقد مر، كما هي مرة الأدوية كلها؟ نحن ننتقد العالم وعوضاً عن الشكر ننال المصائب. أم ترانا نشمت عندما نرى الخلل؟ أم

(*) بيرسيبول - مدينة ايرانية قديمة، تقع اطلالها على مسافة ٥٠ كم شمال شرق شيراز، انشئت هذه المدينة في نهاية القرن السادس قبل الميلاد، وكانت احدى عواصم الاخمينيديين. احتلها الاسكندر المكدوني الكبير في السنة ٣٣٠ قبل الميلاد واحرقها.

أننا نحرق ايدينا في النار؟ لقد قارن فلوريانوس(*) في إحدى إمثولاته بين لدغة الخنفسة ولدغة الأفعى: الأولى تشفى والثانية تبشر بالموت. وهكذا فالانتقاد بلسم والهجاء سم. الحبوب الشافية، على مرارتها، هي عسلنا الذي نقدمه لخلية المجتمع. إلاّ أن في الخلية يعاسيب، أكثر مايخيفها الحقيقة، هواء هؤلاء اليعاسيب الزيف والتملق. وهم يتمنون لو يقضون على الملهاة والأمثال والحكايات ولو يحرقون بالكلس الحي كل من يفضحهم. لقد هدد المتظاهرون بالتقوى والمراؤون الأحياء ذات يوم موليير برميه في المحرقة، وكان الروماني العجوز يوفيناليس(**) لايهاجم في سطوره اللاذعة الأحياء، بل يهاجم الأموات خوفاً من الأذى.

(*) فلوريانوس - امبراطور روماني عاش من ٢٣٢حتى ٢٧٦، وحكم من حزيران حتى ايلول ٢٧٦ ومات مقتولاً.

(**) يوفيناليس - شاعر هجاء روماني (٦٠ - ١٢٧ م) اشتهر كأحد كلاسيكيي الهجاء القاسي. كانت اشعاره المكتوبة على هيئة طروحات فلسفية موجهة ضد كل طبقات المجتمع الروماني بأسره.

- غريبويدوف: كان حكيماً.
- كريلوف: إلا أن يعاسيب هذا العصر أساتذة في فنهم تعجز الكلمات عن وصفهم. يتصورون ويختلقون شتى أنواع التلميحات. كتبت عن المواشي الملونة - فلم يبق شيء إلاّ ووجدوا إشارة له فيما كتبت. وجدوا أشياء لم تخطر لي ببال، وزعموا أنني أقصد الفوج السيميونوفسكي. ماقولك في هذا بالله عليك..
- غريبويدوف: وماذا، لم ينشروها؟
- كريلوف: كلا. شيء مضحك مبك.. ليس في قناعاتهم شيء خفي: يتمنون لو يمسحوننا، نحن الكتاب الساخرين، عن وجه الأرض، وهناك يقيمون لنا، هم أنفسهم، التماثيل... إذن تعذب أنت «بمأساتك». «*»

«*» المقصود هنا هو مسرحية غريبويدوف الكوميدية «مأساة العاقل». وقد ترجمت تسمية هذه الملهاة بأشكال مختلفة: «بلية العقل»، «مصيبة بسبب العقل»، «ذو العقل يشقى.. بعقله».. إلخ. هذه الملهاة هي المقصودة فيماسيلي بكلمة «مأساة».

- **غريبويدوف**: أنا جاهز . مستعد للقاء والنقاش، وسأبرهن . .
- **كريلوف**: لمن ستبرهن؟ إن بدأ النقاش فلن تخطئك الهزيمة. والواقع أن المأساة تحل حيث يوجد العقل. ستكلمهم عن توما فيجيبونك عن إرميا . .
- **غريبويدوف**: إذن ماالعمل؟
- **كريلوف**: أوهوهو. علي أن أحذرك لكي لاتتوقع نجاحاً سهلاً . .
- **غريبويدوف**: أنا لاأبحث عن النجاح . .
- **كريلوف**: وهنا بيت القصيد: نحن نسخر ولكن لاوقت لدينا للضحك. لو كنت مكانك لبصقت على مضيعة الوقت هذه. ماذا نناطح؟ جداراً من صخر . . ولكن، بما أنك رجل مقدام، فليكن طريقك خيراً. هدفك نبيل، إلا أن واجبي هو إخماد شعلة حماستك المتأججة. ولكن من يدري، قد تجد يوماً شرخاً في الجدار. أفلا تحفر قطرات الماء في الصخر . .

- **غريبوييدوف**: لقد أنجزت أنت الكثير ياإيفان أندريفيتش.

- **كريلوف**: أنا أتجاوز العوائق أحياناً. وأطلق سراح كتيبتي لتتفرق. فحيث تنفذ الحكاية قد تعلق الملهاة: تعنت وممانعة وحواجز وكلاليب.

- **غريبوييدوف**: والرقباء ضليعون في هذه الأمور.

- **كريلوف**: يجرحون كرامة المؤلف - فتنظر وإذ بيوفيناليس الروسي قد صمت.

- **غريبوييدوف**: إن عمر الانسان سريع الانقضاء، ومن السهل فهم الفنان: فهو لايستطيع فقط أن يبدع من أجل الزمن الآتي. إنه يريد أن يلمح نتيجة عمله في حياته.

- **كريلوف**: هناك ياصديقي العزيز مهن مختلفة، وليس كل ذي مهنة يرى صنيع يديه، وعملنا لايخلو من المخاطرة، وهو ليس من أجل أولئك الذين يحبون الربح. وإذا كنت تريد ثماراً سريعة فأزرع فجلاً. أما إذا نصبت شجراً كبيراً فتحلّ بالصبر..

المشهد التاسع - تموز ١٨٢٤

غريبوييدوف وسيدة عجوز

- السيدة العجوز: يالك من خبير. . كيف تفهم تقلب أمزجة الفتيات. ألا تستطيع ياعزيزنا أن تقرأ في الإسبوع القادم المسرحية بكاملها؟ ستجتمع عندي مجموعة صغيرة، وسأعرفك على شخصية هامة. ابن عمها فون فوك رئيس الديوان الخاص، وكل الرقابة بين يديه.

- **غريبوييدوف**: آه. حرف (الفاء) ذو مقام كبير الآن في روسيا. من هو قاضينا؟ ومن هو نبينا؟ فوتي يعلمنا كيف نؤمن ، وفان فوك يعلمنا كيف نفكر. .

- السيدة العجوز: أخشى أن يقتلك زهوك ولسانك الفالت.

- **غريبوييدوف**: لقد عشت ، أيتها الأميرة، زمناً طويلاً بعيداً عن البلاط ، فنسيت الحيطة.

- السيدة العجوز: شيء مؤسف، من الخطر ياعزيزي أن تثير حفيظة الآخرين . وأنت كدبلوماسي يجب أن تعرف هذا، خاصة وأنك لم تنجز من العمل إلا نصفه، فلا تكدس العوائق على طريقه . سأنتظرك في الاسبوع القادم . .

- غريبوييدوف: يسرني أن ألبي طلبك . لاتقلقي . سأستحوذ حتماً على اعجاب ابنة عم فون فوك . .

المشهد العاشر - صيف ١٨٢٤

(غريبوييدوف ووجيه عجوز)

- الوجيه العجوز: نعم لقد اضحكتنا ياالكساندر سيرغييفيتش . إن قلمك ينفث سماً . التقطت المواقف بدقة وطرحتها بذكاء، لا ككتاب المسرحيات الحاليين : «وقد كتب : ارحلوا عن أكتافنا . . » هي - هي - هي! هاهم موظفو موسكو : لقبض الرواتب - كالبرق، وللعمل - يحكّون رؤوسهم . إنك كاتب فكاهي وأي فكاهي . لقد شددت لهم آذانهم بقوة . .

- **غريبويدوف** : لكنني خائف أيها الكونت .
- **الوجيه العجوز**: لا . دع عنك الخوف والحزن . أنت وثقت بي وقرأت لي هذين المشهدين، وأنا لن أغدر بك أبداً . لن يصلا إلى وزيرك . هي هي هي . فأنا أجيد الصمت .
- **غريبويدوف**: أنا أخشى . . هل يسمحون بنشرها؟
- **الوجيه العجوز**: نشرها؟ . . أنت ياعزيزي . . هكذا بسرعة . . على كل حال ، لم لا ؟ أنت تحتاج . . احم ، احم . . إلى هيئة الرقابة . .
- **غريبويدوف**: أفلا تستطيع أنت أن تؤثر عليهم هناك؟ فتأثيرك في كل مكان .
- **الوجيه العجوز**: احم . احم . سأعتبر ذلك واجباً علي وشرفاً لي كصديق لموهبتك وصديق قديم للعائلة . إنهم يخافون وعلينا أن نقدر وضعهم يخافون من التساهل : قد يقولون لهم من الأعلى فجأة : اغفلتم وأهملتم . على كل حال سنرى، هذه المسرحية شيء، احم، احم، قوي . ولكن هل ستعجبهم؟

المشهد الحادي عشر - صيف ١٨٢٤

(غريبويدوف ووجيه شاب)

– الوجيه الشاب: هاهاهاها. إنك بحق عظيم. لقد عريت أولئك الجلفين الفظين في الجيش، وسخرت من هذا الجبان المتملق. نعم. إن في مجتمعنا الكثير من العيوب، التي يسمونها شرفاً وفخاراً . مسرحية محققة، على الرغم من أنها لاذعة. هل ستنشرها؟ احم. . أم لا؟ . . إلا أن أولئك المحتالين سيحاصرونك، هناك، في اللجنة. . على كل حال، حاول أن ترمي لهم عظمة، عدل في بعض الأماكن من حدة النقد. . نحن وإياك لسنا أطفالاً، ونعرف هذا العالم. .

– **غريبويدوف**: وإن تفضلت وقلت كلمة أيها الأمير؟

– الوجيه الشاب: قلت أنا كلمة؟ احم. . ممكن. . ممكن. . هناك نسيب لي ، لكنه مع الأسف مريب بعض الشيء، ولم يكن يوماً شجاعاً،

منذ ولادته. كل الموظفين هناك - والكلام بيننا- ذوو نفوس دنيئة، وإلا كنا انهينا الموضوع أنا وأنت هنا، بينما سيظل أولئك القوم الخسيسون ملتصقين به سنة بكاملها، كما تلتصق الصراصير - عفوك - بالعجين . المسرحية شيء رائع . ولكن كيف تقنعهم بذلك؟ على كل حال.. سنرى..

المشهد الثاني عشر- صيف ١٨٢٤

(شقة نيقولاي ايفانوفيتش غريتش)

(غريتش وبولغارين)

- **بولغارين**: (أثناء دخوله) مرحباً نيقولاي ايفانوفيتش.

- **غريتش**: فاديّيْ. أنت الأول . أظنك تنوي شيئاً.

- **بولغارين**: أنا اليوم لم أنم، ولذلك فكرت بشيء ما خلال الليل، أريد أن أبحثه معك.

- **غريتش**: أحبك يافاديّيْ: في الليل مشروع وفي النهار فكرة. إلا أن الوقت الآن ليس وقت الأعمال .

قريباً سيبدأون بالتوافد. وبعد ساعة ستبدأ القراءة. .

– بولغارين: هذا هو موضوعنا. لقد أدهشني ماسمعته عند خميلينتسكي: بصراحة لقد ظهر فونفيزين(*) جديد. اسمع، غريتش– كيف تظن، هل ستمر المسرحية؟

– غريتش: مستحيل أبداً. .

– بولغارين: هل سيذبحها فون فوك؟

– غريتش: أأنت حزين؟ وعلى من؟

– بولغارين: على غريبوييدوف.

– غريتش: أنا أعرفك جيداً.

– بولغارين: . . وأنا أعمل لمصلحتي. .

– غريتش: إذن. . تريد نشرها؟ القضية هنا ياأخانا عويصة. لايمكن تمريرها حتى ولو بالحيلة.

– بولغارين: هذا يناسبني تماماً.

(*) فونفيزين – دينيس ايفانوفيتش (١٧٤٤ – ١٨٩٢) أديب روسي، كان يكتب الملهاة الاجتماعية الناقدة.

–**غريتش**: كيف؟

– **بولغارين**: إذ سمح له بنشر مأساته، فلن يعطيها لمجلتي . .

–**غريتش**: بل سيجد لها مكاناً أنظف . .

– **بولغارين**: فيحصل على الشهرة والنقود. ونحن، ماذا سنصيب؟ شم ولاتذق . .

– **غريتش**:آه . شم . . . يالك من حذق. « المأساة» لن تمر طبعاً . وأنا لاأفهم ، أي ربح من ذلك؟

– **بولغارين**: يالك من إنسان غير نبيه . عبثاً يذيعون شهرة غريتش كرجل أعمال ذكي. ألم تسمع بالمثل الذي يقول : « . . والوحش يمضي إلى صائده»؟ ألم يسبق لك أن خرجت إلى قنص الحصار؟«*»لقدوجدت الفريسة وحوصرت، والمحاصرون يقرعون من كل الجهات بطناجرهم وأغطيتها، وأنت تقف جانباً مستعداً

«*» إحدى طرق القنص، حيث تحاصر جماعة من الصيادين الفريسة بالطبل والاصوات والضجيج وتدفع بها في اتجاه واحد، إلى حيث يكمن الرامي .

للرمي، وهاهي الفريسة تخرج إليك، إذ لامهرب آخر لها - لقد فهمت طبيعة غريبويبيدوف: إنه ،على الرغم من أنه دبلوماسي، لم يعتد السير في الطرق الخلفية. وبسبب عزة نفسه، بل بسبب جنونه، سيزحف بخط مستقيم، أما فون فوك فسيقيم الدنيا ويقعدها. عند ذلك - تأتي الفريسة إلى «روسكاياتاليا». "*"

- غريتش: ألست مستجعلاً في تفصيل جلد الفريسة؟ لنفترض أنك استطعت الالتفاف على غريبوييدوف، فكيف ستلتف على الرقابة؟

- بولغارين: سأكشف لك إذن عما أنويه. ولكن، إياك، ياغريتش، ثم إياك. أنا وأنت سنظل أقوياء مادمنا معاً. أنت ستساعدني في هذا العمل وأنا سأساعدك في عمل آخر. إذن.. لنفترض أن

(*) روسكايا تاليا - تاليا الروسية - وتاليا في الأسطورة الاغريقية هي إحدى ربات الابداع التسع. وهي ربة الملهاة..

الملهاة قد منعت ، عند ذلك أحاول أنا خلال
بضعة أيام حجب مجلتي عن الديوان الخاص . .

- **غريتش**: ياصديقي العزيز . . حاول أولا تحاول . .

- **بولغارين**: اسمع . لدي خطوة أخرى . . سأحصل
بشكل استثنائي على الموافقة ، ليس هناك ، بل
في وزارة المعارف . فتتخطى مجموعتي الرقابة .

- **غريتش**: أرى أنك شاطر حقيقي . وهل ستتخطى
فون فوك؟

- **بولغارين**: ليس بكل معنى الكلمة ، إنما آمل أن أجد
قريباً منفذاً صغيراً . لابأس أن لاتمر « المأساة»
بكاملها ، ولكن إذا سمحوالي بأن أنشر فصلاً أو
فصلين منها فسأكون قد اعتليت صهوة الجواد .
فمن جهة سيرفع هذا سعر «روسكايا تاليا» ،
ومن جهة أخرى - أكتسب أنا وزناً كناشر
طليعي لايخاف ، وأصير صديقاً لغريبويدوف .

- **غريتش**: وهل سيعطيك هو أجزاءً منها لتنشرها؟ وأية
متعة من ذلك؟

– بولغارين: سيعطيها. إنه حب الذات. فمن غيري
الطريق امامه مسدودة . علينا أن نحافظ على
هذه الأسماء اسمع ماسأقوله لك. بما أنه ليس
معهم فهو معنا. .

– غريتش: وقد يكون. .

– بولغارين: وإن كان؟

– غريتش: هو وحده؟ عفوك ياأخانا ، فأنا، مهما كان
الأمر، المضيف هنا، والضيوف ستة. قد يصلون
بين لحظة وأخرى، وأنا لم أرتد ثيابي بعد
(جانباً) آه، ياأخانا، ياأخانا قابيل . معك الحال
سيء ودونك أضيع . .

(يغادر)

**(يختفي بولغارين في أعماق المسرح، ويبدأ
الضيوف بالتوارد).**

– **الضيف الأول:** أسمعتها؟

– **الضيف الثاني:** سمعت بها منذ مدة وجيزة عند الدوقة .
وأنت؟

- **الضيف الأول**: لم يقدَّر لي بعد ذلك. لم يسبق أن حدث مثل ذلك. الجميع يتحدثون.

- **الضيف الثاني**: بما هب ودب.

- **الضيف الأول**: وهل هناك مايستحق النقاش؟

- **الضيف الثاني**: سأستمع ثانية إلى مايقال واكتب مقالة. يسمعوننا الكثير من الثرثرة، ويطلب بعضهم بعد أن يمطوا آذانهم: تعال وامدح السخافات. هذا تنافر وعدم انسجام وخساسة..

- **الضيف الأول**: قالوا لي بأنها مقفاة بشكل ممتاز.

- **الضيف الثاني**: من قال هذا لم يتعمق في الموضوع جيداً: إنها شعر مكسور ولغة حوذيين..

(غريتش يقترب من المتحادثين).

وشاعرنا سيجلب السعادة إلى أدبنا الروسي بإدخاله عشرات الكلمات الوضيعة إليه. لقد سجلت **(ينظر إلى كراس صغير)**.. لحظة.. «اشتهروا بأنهم حمقى» و«لا يوجد عمل»

ها؟وهذه« مقرف» . أنت موافق، غريتش؟

- غريتش: ليس تماماً ، فالمادة قابلة للنقاش. لقد خدم شاعرنا الأدب بأن استطاع أن يجمع بين القافية واللغة المحكية. وبرأيي - من العبث أن يناصروا عندنا الأشعار الموزونة، فإن انسياب الجمل السهلة . .

- الضيف الثاني: التعامل مع ربة الشعر ليس تعاملاً مع واحدة من نساء الشوارع . .

- الضيف الثالث: (يقترب) إذا كان الحديث عن (مأساة العاقل) اسمحوا لي أن أعترض . .

- غريتش: هاقد أتاكم ناقد ذكي . .

- الضيف الثالث: الشعر فيها سريع وغير متكلف، وفيها عشرة الاف لقطة فرحة . .

- الضيف الرابع: (يقترب) عشرة الاف لقطة، ياسيد؟ ليس فيها أي انتظام . بامكاني أو أورد لك منها ألف بيت رديء . .

- الضيف الثالث: وقوافيها جديدة، ، والتفعيلة الثلاثية

الموزونة لاتضجر ولو سمعها المرء طوال السهرة.

– الضيف الرابع: وفيها صيغ تنسينا اللغة إلى الأبد..

– الضيف الثاني: أما المضمون، ففسق وانحطاط.

–الضيف الرابع: وهي مشبعة بالسم السياسي..

(مجموعة الضيوف تتراجع الى عمق المسرح، يدخل ضيوف جدد. يظهر غريبوييدوف، لكنه لايُلحظ مباشرة ضمن الحشد).

– الضيف الخامس: الآراء المختلفة كثيرة، هل قرأت «الأوراق الأدبية»؟.

– الضيف السادس: لست من قراء ابداعات بولغارين. أهي مقالة؟ إذن كلام فارغ حتماً.

– الضيف الخامس: طبعاً، صديقنا فادّيي ليس عبقرياً..

– الضيف السادس: ويده ليست نظيفة تماماً..

– الضيف الخامس: لكنه رجل أعمال ماهر وصحفي مقدام. ففي مقالة أمس الأول رفع غريبوييدوف إلى منصة الشرف..

- الضيف السادس: على « مأساة العاقل »؟
- الضيف الخامس: نعم.
- الضيف السادس: ياله من وقح . أوصلت به الوقاحة إلى حد النشر؟
- الضيف الخامس: ودون أية مراسيم اضافية . . إلا أنه كان أول من ضرب على صنجه.

(يغادر الضيفان الخامس والسادس إلى عمق المسرح ويظهر في مقدمته غريبويدوف وبولغارين).

- **غريبويدوف**: كنت أبحث عنك ياسيدي . .
- **بولغارين**: أنا سعيد.
- **غريبويدوف**: لي معك كلمتان فقط . أجبني على هذا السؤال، واتوقع منك جواباً صريحاً بلا مواربة، من ذا الذي أبرزته في مقالتك الأخيرة التي كتبتها بروح مدحية وأسميته « موهبة »؟
- **بولغارين**: أنا؟ أنت.
- **غريبويدوف**: إن في أحكامك إطراء لي . لقد أسعدني ذلك . ولكن ماالذي جعلني استحق هذا الإطراء؟

- **بولغارين**: ماالذي جعلك تستحقه؟ « مأساة العاقل» .
- **غريبويدوف**: هذه المسرحية يكاد لا يعرفها أحد، فهي لم تنشر ولم تعرض على خشبة المسرح، وأنا أعتقد أنه من غير اللائق نشر التقريظ على الملأ . فهذا التكريم يفتقر إلى المسوغات .
- **بولغارين**: ربما حدثوك عني بالكثير من الأكاذيب . .
- **غريبويدوف**: أنا لي رأيي الخاص .
- **بولغارين**: الآن تشيع بعض البدع . . .
- **غريبويدوف**: أنا أميز بينها وبين الحقيقة .
- **بولغارين**: كل مافعلته أنني اعطيت المهارة والموهبة حقهما . .
- **غريبويدوف**: أنا مصدق ومقدر . إلا أن هذا الحادث ملحوظ بشدة، ولذلك، ولكي لا يسفر عن النميمة والثرثرة سأقطع علاقتي معك، وإذا ماصادفتك مرة فسأنحني لك . ليس إلا **(يغادر)**
- **بولغارين**: أنه غاضب جداً، ألم أبالغ بالثرثرة أمام غريتش؟ على كل حال انتظر، إعطني مهلة :

سيرتب فون فوك لك لقاء أيها المتكبر . . لقد بالغت بمديحه . لكن المديح ليس سماً .
لابأس . بعد الخريف نعد الفراخ . .

(يتراجع بولغارين إلى عمق المسرح ويظهر في المقدمة غريبويدوف يحمل في يده دفتراً ، ومحاطاً بالضيوف) . .

- **الضيف الأول**: هذا أيضاً أحد أبطال قاعات الاستقبال ، يسير ورأسه تدور من كثرة مايقال .

-**الضيف الخامس**: الشعر كالخمر ، يجب أن تتذوقه كي تعطي رأيك به . .

- **الضيف السادس**: ألن تبدأ القراءة؟

- **الضيف الأول**: (**مختطفاً المخطوط من يد غريبوييدوف**) ياله من دفتر سميك . مسرحيتك تعادل مسرحيتي .

- **غريبوييدوف**:(**منفجراً**) أوه . يستحيل علي أن أكتب طوال حياتي مايعادل تلك السخافة . .

- **الضيف الأول**:(**وقد أخذ على حين غرة**) أنا في الواقع ، أقصد من ناحية الوزن . .

- **غريبوييدوف**: (**مستعيداً المخطوط**) أتريد أن تزن مسرحيتي؟..

-**الضيف الخامس**: أتعني ذلك فعلا؟

- **الضيف السادس**: لاضرورة للغضب..

- **غريتش**: سنفرض عليه الآن عقوبة. سيصغي إليك من الصفوف الخلفية..

- **غريبوييدوف**: إن إجلاس الضيوف هنا هو من سلطتك، والضيوف كما أرى من مختلف الألوان، غير أنني لن أبدأ القراءة بحضور هذا السيد.

- **الضيف الثاني**: (**للضيف الرابع**) أنه يبالغ في عنجهيته.

- **الضيف الرابع**: (**للضيف الثاني**) أترى؟ تكبّر وأي تكبّر.

- **الضيف الأول**: الواقع أنني لم أشأ أن أزعجكم.. لو سمحتم، بإمكاني أن أغادر..

(**يغادر**)..

- غريبويدوف:(ببرودة في أثر الضيف المغادر) مع السلامة .

(الجميع يتوجهون إلى القاعة ، حيث ستجري القراءة). .

- بولغارين : ستدفع الكثيرين إلى بغضك . غير أنك ستدرك في النهاية أن فاديّيْ، هذا الذي ترفضه، كما أرى، أبقى لك، وستكون أكثر حاجة إليه من كل أصدقائك . .

المشهد الثالث عشر - خريف ١٨٢٤

(شقة غريبوييدوف في بطرسبورغ) (يدخل غريبوييدوف واودويفسكي. يستقبلهماجاندر . غريبوييدوف لا يلاحظ جاندر، ويندفع إلى المنضدة ويبدأ بسحب الأوراق وتمزيقها).

- جاندر: اتركها . هل جننت؟

- غريبوييدوف: ليمحقهم الطاعون . أكان من الضروري . . ياللشيطان . . أن أخوض في هذه القصة . . لقد كنت نبياً : « العربة إلي بالعربة» .

- **جاندر:** أرجوك: ماذا دهاك؟

- **أودويفسكي:** أنه آت من مقابلة في الوزارة . .

- **غريبويدوف:** تفو . . كان وقتاً ضائعاً عند ذلك الضفدع الكريه . . وماذا؟ كأنك تناطح صخرة . . لقد راح الحمار ، صاحب السعادة، يثرثر أمامي بتفاهاته بكل صفاقة وبسحنة الوصي الجريء. ماكتبته لايستحق النشر، وطريقه إلى المسرح مسدود، إذ لم ير فيه ذلك الوطني حب الوطن وفكرة الخير. تصوروا! موظف عديم الاحساس يعرف أكثر من الجميع مايلزم الشعب. وأنا كنت آمل - حذفت واسففت بما يتناسب مع متطلبات مثل هذا الناقد. كم أخجل عندما أتذكر تنازلاتي : أردت أن أخفف وألين الموقف، فكتبت مقالة. لعنة الله على كل هذا (يمزق الأوراق).

- **جاندر:** اسمع ياأخي . عد إلى رشدك . .

- أودويفسكي: ألم تكن تعرف إلى أين أنت سائر؟ ألم تكن تعرف أنك ستصطدم بجبناء وبيروقراطيين؟

- جاندر: انظر إلى شكللك.

- غريبوييدوف: من يصدق أن لاحرية للموهبة في روسيا؟ اكتبوا مسرحيات هزلية ركيكة وانظموا الأشعار السخيفة..

- جاندر: إن عملك الذي أنجزته عظيم.. وسيأتي وقت..

- غريبويدوف: لقد تعبت من الزهو بالمديح. المسرحية ضرورية الآن. أم أنك تراني أكتبها من أجل النصوص المدرسية في القرن العشرين؟

- اودويفسكي: لاتحزن. هناك رجال بواسل.. والحرية ليست بعيدة المنال..

- غريبويدوف: أنت ترى ذلك؟ ماذا يمكن أن نحصد من أرض بور؟ أين الحل؟ أنا كتبت ولكني لم أنجز إلا نصف العمل. علي أن أنفذ بدأب ومهارة لعبة خبيثة، غير أن الاحتيال ليس من شيمي.

أضف إلى أنه لاوقت لدي، والنقود تكاد تنضب. أنا لست طليقاً أنا في إجازة.. وعليْ أن أعود قريباً إلى القفقاس. متى سآتي إلى هنا مرة أخرى..؟ أم أن كل هذا مجرد أضغاث أحلام؟ أو أنني عديم الموهبة؟

- **جاندر**: عد إلى رشدك. مخجل سماع هذا الكلام..

- **غريبويدوف**: من سيهدم هذا الجدار؟ أهو بولغارين؟

- **جاندر**: لم لا؟

- **اودويفسكي**: إنه يحوم حولك منذ زمن كقط شم رائحة الزبدة..

- **غريبويدوف**: لقد طلب مقاطع من أجل مجلته..

- **جاندر**: إعطه. لم لا؟ فاديّيْ سينشرها وسيتدبر هو أمره مع المسؤولين.

- **اودويفسكي**: بولغارين خسيس، يدنس كل ماتلمسه يداه..

- **جاندر**: فليكن خسيساً. طبعاً، هو رجل أعمال..

وليس هناك مايرفع الرأس بالتعامل مع بولغارين وغريتش . .

- اودويفسكي: حديث غريتش حديث يختلف، أما بولغارين فهو حقير حقاً. إذا كنت رجل أعمال، عليك أن تكون نزيهاً في عملك. لكن فادّيي بولغارين فيعرفه الجميع بأنه أمهر من حلف أَيْماناً كاذبة. خدم الجيش الروسي وخدم الجيش الفرنسي . خان رايته وأسلمها مرتين. والآن - سمعت أنه عميل صغير للمباحث . .

- جاندر: ومع ذلك فقد اجتذب الكثيرين إلى مجلته، وفي عالم المسرح ينتظرون اصداراته.

- اودويفكسي: وماهذا إلا شاهد محزن على زماننا. بولغارين يفرض علينا مذهبه في الأدب، وهو حرفي أن يكتب كل تافه ورديء ، أما بوشكين فينفى إلى المجاهل وغريبويدوف تمرمره الرقابة.

- غريبويدوف: أنت محق ياساشا، ولكن، مع كل ذلك، ليس هناك طريق آخر، سأضطر إلى إقامة

علاقة مع فادّيي. فلكي ندخل شرارة الحقيقة إلى عالمنا المظلم، علينا أن نرتمي في أحضان النصابين. نحن نزداد ذكاء، وعندما ننظر إلى الناس الشرفاء في زمننا نجد أن لكل منهم فادّيا خاصاً به.

- جاندر: بما أنه من الممكن نشر مقاطع في «روسكايا تاليا» فلماذا كل هذه التحليلات المعقدة؟ لو فكرت أنت بتأسيس مجلتك الخاصة لانتهى حبه لك فوراً، ولراح تاجر البلاط المتأدب يحاول اغراق منافسه. أما الآن فهو مستعد للخروج من جلده كي يصل إليك. إعط المسرحية لفادّيي.
- غريبوييدوف: سأعطيها..
- اودويفسكي: وسيحفر لك حفرة..
- جاندر: لقد خطرت لي فكرة. فعلاً. اسمع. في ديواني حشد من الكتبة.. اعطني المخطوطة ايضاً..
- غريبوييدوف: فعلاً، اندريه، بما أن طريقي إلى القراء طويل جداً، فلتنتشر النسخ المخطوطة..

(يعطي المخطوطة إلى جاندر).

- اودويفسكي: . . مع كذب الكتبة المقدام . .

- غريبويدوف: ماذا تقترح أنت؟

- أودويفكسي: هناك أحداث تحضر وهناك أناس بواسل . .

- غريبوييدوف: هاأنت تعود إلى نغمتك . . ربما . . ولكن هل أستطيع أن أحكم عليهم غيابياً؟

- أودويفسكي: نستطيع إيصالك إليهم . .

المشهد الرابع عشر - حزيران ١٨٢٥

(كييف . غرفة في بيت عقيد في الحرس. العقيد، مقدم، نقيب، حامل راية، ملازم ثان، رجل مدني. يدخل ملازم).

- الملازم: السلام عليكم أيها الأخوة . هل تأخرت؟

- حامل الراية: أين كنت؟كنت تسكر؟

- الملازم: يالك من نكتي . أنا آت من المناوبة فوراً دون أن أتغدى .

- العقيد: (إلى ماوراء الكواليس) هيه . فرولكا .

(يدخل الحاجب) أمازالت الدجاجة موجودة؟

- الحاجب: تمام سيدي.

- العقيد: احضرها.

- الحاجب: إلى أين؟

- العقيد: إلى الملازم، أيها المجنون.

(يختفي الحاجب ، ثم يعود حاملاً طبقاً).

- الملازم: **(وفمه ملآن)** أين غريبوييدوف؟

- المقدم: إننا في انتظاره، لقد آن له أن يحضر منذ زمن.

- الملازم: هل تناقشتم طويلاً؟

- النقيب: كدنا نبقى حتى الصباح..

- الملازم: أنه، حتماً، يطرّي عظامه الآن في السرير.

- العقيد: أخشى أن يتعبنا.

- حامل الراية: أأذهب واحضره من الفندق؟

- العقيد: اذهب.

(حامل الراية يغادر)

- الملازم: إذن أنتم لم تلتقوا بغريبوييدوف؟

- العقيد: كلا

فتــرة صمــت. . إنــنا نـضيـع الـوقـت فـي انـتـظار هـذه الشخصية الرفيعة. .

- الملازم: لاأظنه جاء إلى هنا، إلى كـييف، من أجل الاستجمام.

- الملازم الثاني: إنه صنمنا، إنه الهنا. مؤلف المسرحيات الهجائية الغاضبة المرهفة. . كان يجلس مقطباً حاجبيه، ممتعضاً امتعاضاً ساخراً. كلا. كيف يمكنه ذلك؟

- المقدم: أخشى ألا يكون مؤمناً بقضيتنا. .

-العقيد: لقد قال لي ريلييف: «أنه من جماعتنا». .

- الملازم الثاني: لقد استثير سيرغي ايفانيتش، إذ تناقش معه نقاشاً حامياً. .

المدني: وكان حتماً، نقاشاً ذكياً.

- الملازم: هل سيرغي ايفانيتش هنا؟

- الملازم الثاني: كلا. لقد عاد إلى الفوج، ونحن اليوم من غيره.

- المدني: قد نحقق ، فجأة، فائدة كبيرة . .
- النقيب: عبثاً يريد هو تسريع الأحداث . .
- الملازم الثاني: برأيي، إنه مواطن عظيم، إنه بروتوس عصرنا.
- النقيب: انتبهوا . .
- الملازم الثاني: « إذا كنتم لاتريدون الثورة، فسأقوم بها بمفردي» هذه كلماته وهو سيحافظ عليها مقدسة وسيتخطى بها كل العقبات .
- المدني: الجرأة ضرورية من أجل استنهاض العصيان، أما من أجل الثورة فالجرأة لاتكفي .
- الملازم الثاني: وأنت ياأخانا تنطق بالحكم ايضاً، ولكن عبثاً، فمن أجل تخليص روسيا من القيصر والغاء العبودية لخير البلد المعذب، لاضرورة للنظريات والخطب، بل تلزم العزيمة والجرأة.
- المدني: من أجل إزاحة القيصر؟
- الملازم الثاني: في الاستعراض الراهن، أنا آخذة على عاتقي . .

– النقيب: آن الأوان للموافقة على أن تبدأ العاصمة . .

– الملازم الثاني: هاأنت تعود إلى موالك . لقد قيل مئة مرة يجب أن نبدأ هنا . .

–المدني: إن ولى السكاندر فإن مجلس الشيوخ سينصب قسطنطين بالاجماع .

– الملازم: يقولون إنه مثل أبيه .

– الملازم الثاني: بهيمة ممتازة . .

– النقيب: لا . الشماليون سيقنعون مجلس الشيوخ بإعلان الجمهورية .

– المدني: صحيح؟

– الملازم: أتمزح ياقليل الإيمان؟

– المدني: لا . غير أن الثائر يجب أن يفكر : إلى أين ستسير الدولة؟

– الملازم الثاني: ستسير إلى حيث سنقودها . .

– المدني: وهل سيفهمنا الشعب البسيط؟ هل سيدعمنا رجال الدين؟

- الملازم الثاني: لاتنسَ أن تسأل التجار أيضاً : « هل توافقون، سعادتكم، أن تظلو بلا قيصر»؟

- المدني: هذا أمر مضحك بالنسبة لك، ولكنه لايضحكني أبداً . .

- المقدم: ثقوب الشبكة أكبر من السمك الصغير الذي تتجادلون حوله . .

- المدني: السمك الصغير؟ روسيا هائلة وغامضة ومانحن إلاّ حفنة من . .

- الملازم الثاني: لاتجبن .

- العقيد: إن آلاف الجنود تحت إمرتنا . .

- المدني: بأية كلمات ستشرح لهم أننا لانخدم أنفسنا، بل نخدم الشعب . .

- العقيد: ليسوا بحاجة إلى التفكير . ففوجي يمضي وراء قائده إلى الحريق والغرق . .

- المدني: جمهورية ! حسناً ، وماذا بعد ذلك ؟ هل سيعلن آل رومانوف ولاءهم لها .

- الملازم الثاني: سنمحي كل هذه السلالة عن وجه الأرض .

– المقدم: بمن فيهم النساء والأطفال؟

– العقيد: ومن ذا الذي ستستميله إلى راية ملطخة بالدم؟

– المقدم: أنا أسمع هذا للمرة الأولى، والحقيقة أنا مستاء . هذه خطة فظيعة حقاً.

– الملازم الثاني: يجب أن نقتلع العشبة الضارة من الحقل. أنا موافق مع بيستيل على هذا.

– العقيد: بيستيل، صديقك هذا، رجل قاس وعنيف جداً.

– النقيب : ويفتقر إلى بعد النظر . .

–المدني: أنا أرى هذه المسألة ماتزال غير واضحة، إذ مايزال هناك أنصار للملكية . .

– الملازم الثاني: هذا هراء . .

– العقيد: بؤس روسيا لايكمن في القيصر بقدر ماهو في الحكم القيصري المطلق . .

– المدني: لافائدة من متابعة النقاش . . لنفترض أننا أعلنا الجمهورية، فماذا بشأن الفلاحين؟

–الملازم:ليس في هذا مايناقش . سنعطي الجميع حريتهم . .

– **المدني**: مع الأرض؟ من غير الأرض؟
– **النقيب**: بيستيل عنده خطة لهذا . .
– **العقيد**: (للمقدم ، بصوت منخفض) بيستيل ، بيستيل .
وكأنه ليس نوراً إلا ماتدخله النافذة . أم أننا لانملك رؤوساً؟
– **المقدم**: (بصوت منخفض) الواقع أنه ، كما يقول كريلوف ، ليس عند الفأر وحش أقوى من الهر . .
– **المدني**: إذن ، كيف؟ مع الأرض؟
– **الملازم الثاني** : طبعاً .

العقيد: حذار أيها السادة ، لئلا نثير غضب النبلاء ، أخشى ألا يوافق الكثيرون على ذلك . .
– **المدني**: مادام الأمر كذلك ، اسمحوا لي . أنا أرى أن لا اتفاق بيننا هنا . وإذا سمع ضيفنا نقاشنا ، فماذا سيحمل معه إلى القفقاس؟ وبم سيحدث يرمولوف عنا؟
– **المقدم**: لو كان يرمولوف معنا لزحزحنا الجبال ، ومن دونه ، عسى ألا تغوص عربتنا في الوحل . .

- الملازم الثاني: من هو غريبويدوفكم هذا؟ إنه دبلوماسي وليس عسكرياً.

- المدني: إنه مؤلف «مأساة العاقل».

- الملازم الثاني: لقد الهبنا جميعاً، بينما هو كالجليد..

- العقيد: أخشى أن لايكون مستحقاً ثقتنا..

- المقدم: نحن بحاجة إليه. علينا أن نقنعه.

- النقيب: يرمولوف هذا خبيث. سيتربص متحيناً الفرصة..

- المدني: وكيف يستطيع القائد العسكري أن يزج بعسكره في المعركة دون أن يستطلع الموقف.

- **الملازم الثاني**: هل كنت تزمع محاباة ضيفنا؟

(**يدخل حامل الراية**)

- العقيد: لوحدك؟ أين غريبويدوف؟

- حامل الراية: لقد رحل، أيها الأمير، إلى الجنوب، في عربة البريد..

- المقدم: رحل؟

- العقيد: ودون أن يقول وداعاً؟

المشهد الخامس عشر - صيف ١٨٢٥

(غريبوييدويف في عربة البريد)

- غريبوييدوف: لم أوفق إلى اللقاء بكم. .

ياأصدقائي المتلهفين

فأنتم ترون النار المُطَهِّرَة. .

وأنا أرى ، سلفاً، الحريق.

غريب أنا الآن عمن كانوا. .

أخوة لي وشركاء تفكيري.

فمن منهم سيفهمني؟

ليسوا بحاجة إلى الرجولة والفداء، ولكن

أين التفكير الراجح ، أين الحسابات؟

يغرِّبون انفسهم، فلا يعرفون ولايقدرون. .

جنودهم والحرفيين والفلاحين. .

وهل سيبدل مائة ملازم ثان

نظام روسيا الأزلي؟

إزاحة القيصر. . أمر مجرب. .

خمسة أزيحوا في مائة عام
والشعب جاهل، عاجز عن امساك . .
الدفة بأيد حكيمة .
ليس سهلاً ردم هذه الهوة
بيننا وبين الشعب
لكن أولئك الحمقى المتسرعين
يسأمون التأني في العمل . .
ويغشي ابصارهم اندفاع الحماسة
وهم يدفعون التاريخ دفعاً بكل قواهم
فلا يرون بسبب أشجار اليوم الراهن
غابة المستقبل :
« فلنمت نحن، وسيكون موتنا رائعاً» .
يلفني الحزن والسخط حين اسمع ذلك :
فإن قطعوا الغرسات الفتية
تصبح روسيا أرضاً يبابا .

المشـهـد السادس عشر - شتاء ١٨٢٥ - ١٨٢٦

(محطة شمال القفقاس . غرفة قائد فوج القفقاس .وراء المنضدة يجلس يرمولوف مستغرقاً في التفكير . يظهر عند الباب غريبوييدوف).

-**يرمولوف**: ادخل.

- **غريبوييدوف**: هل هناك أخبار؟

- **يرمولوف**: (مؤشراً بيده إشارة عدم الاهتمام) الأوراق اليومية العادية . .

- **غريبوييدوف**: ومن الشمال؟

- **يرمولوف**: لاشيء .

- **غريبوييدوف**: معقول؟

- **يرمولوف** : ها أنا أؤجل لليوم الرابع . وأؤخر تأدية القوات للقسم . .

- **غريبوييدوف**: هل سيقبل قسطنطين التاج؟

- **يرمولوف**: لست أعتقد ذلك . إنه ابن كلب ، يخشى أن يكون مصيره كأبيه . .

- **غريبوييدوف**: والتأخير مناسب لهم تماماً .

- **يرمولوف**: لن يطلع القفقاس على الأخبار إلا بعد زمن، فالمراسل النموذجي سيظل يجري عشرة أيام. .

- **غريبويدوف**: لاأظن أنك ستندهش إن تنبأت أن معركة بالسلاح الأبيض تدور الآن في ساحة القصر. مصيرنا جميعاً يتقرر الآن، ولكن أين؟ على مسافة أربعمائة فرسخ وماذا بيدنا أن نعمل؟

-**يرمولوف**: أن ننتظر الرسائل المستعجلة. .

(فترة صمت)

- **غريبويدوف**: مازلنا غير مؤهلين للثورة. .

- **يرمولوف**: ماذا؟ الثورة؟ نجنا يارب. . هذه الكلمة لايعرفونها في روسيا. هناك كلمة «عصيان». . أعوذ بالله. لقدتذكرت يميل. من هو هذا النبيل الذي سيقرر إنهاض هذه القوة العشواء؟ ليست في روسيا ثورة، ولايمكن أن تكون.

- **غريبويدوف**: لقد وصلنا إلى التناقض: كيف يمكن عتق الشعب من غير قوة الشعب؟ وبماذا يمكن تسريع مسيرة التاريخ؟

- **يرمولوف:** بالحراب والرصاص . .

(فترة صمت).

- **غريبويدوف:** مؤامرة عسكرية؟

- **يرمولوف:**إنقلاب .

- **غريبويدوف:** وهل أنت واثق من النجاح؟

- **يرمولوف** : هناك أمثلة على ذلك .

- **غريبويدوف:** مجرد حفنة من المقاتلين . .

- **يرمولوف:** إلا أنهم ضباط .

- **غريبويدوف:** . . . نعم ، وبينهم خلافات .

- **يرمولوف:** ليس هذا مشكلة ، مادام هناك اتفاق حول الهدف الرئيسي . .

- **غريبويدوف:** أين هي المشكلة إذن؟

- **يرمولوف:** في المعركة غير المتكافئة . سر الانتصار يكمن . .

- **غريبويدوف:** أين يكمن سر الانتصار؟

- **يرمولوف:** في القائد .

- **غريبويدوف:** (ضاحكاً) إنه موجود ، وهو موهوب ومعه جيش ، وذو ماض مجيد .

- **يرمولوف**: دعنا من النكت ياأخانا ، أنا هنا، وأين مني بطرسبورغ. اربعمائة فرسخ مسافة طويلة. والأمر ليس لعبة مثيرة. هل فكرت بالثامن عشر من برومير؟ لقد كان بونابارت إذ ذاك في باريس وليس في الألب . .
- **غريبويدوف**: قد يبرز ضابط حامل راية مغمور حتى الآن فجأة بعصيان ناجح، فتصبحان مثل مينين وبوجارسكي "*". . ألا تنوي . .
- **يرمولوف**: أنوي انتظار الرسائل.

(فترة صمت)

- **غريبوييدوف**: سؤال آخر: مادام الجمهوريون سيستلمون السلطة عما قريب، أفلن يختلف المنتصرون؟ إياكم . إن الطريق شائكة، وإن دب الخلاف ضاعت الجمهورية فوراً.
- **يرمولوف**: طبعاً، فالطريق ليس أرضاً ممهدة للرقص . .

"*" مينين وبوجارسكي : بطلان شعبيان من التاريخ الروسي . مينين تاجر ثري من مدينة يوجني نوفغورود وبوجارسكي فارس مقاتل من موسكو وقد نظما معاً انتفاضة شعبية ضد الاحتلال البولوني في أوائل القرن السابع عشر.

- **غريبويدوف**: قال أحدهم، وأعتقد أنه تاليران، على ماأذكر: «الملك السيء ينجب الجمهوريين، وفي الجمهورية السيئة يولد الطاغية».

- **يرمولوف**: سأعطيك ياسيد نصيحة نصوحة: أنت باذر خير، أنت ضمير روسيا ومجدها، وأني أخشى أن ترمى رؤوس كثيرة في المعركة الآتية. إلا أن أبشع الشرور هو أن يصمت صوت روسيا المتنبيء. فمن أجل القضاء على اليعسوب يموت الكثير من النحل، ومع ذلك لاتستطيع الخلية أن تعيش بلا ملكة..

(**يعانق غريبويدوف**)

- **غريبويدوف**: إيه، ياالكسي بتروفيتش. ماأمر احساس المرء بعجزه. يحب ويسعده أن يحلق إلى الغيوم، لكنهم يقصقصون له أجنحته..

- **يرمولوف**: أكتب. ألف. فسيأتي يوم.. إذ ليس أمضى من السيف إلاّ القلم.

غريبويدوف: تريدني أن أكتب ؟ على الرغم من تجربتي المرة؟ أينما دخلت بملهاتي أجد دائماً في غمرة المديح أوزة من أوزات الوجهاء تهاجمني. لقد أرادوا أن يقدموا مسرحية « مأساة العاقل». أجروا التدريبات وأزهرت الآمال.. ولكن، هيهات.. إلام انتهى هذا الهرج والمرج بتصورك؟ إلى المنع، بل إلى المنع المهين، لقد أعطى حاكم المدينة في اليوم ذاته امره بعدم السماح بعرض المسرحية. أنا لست جذموراً بلا حس: فما دام الهواء غير موجود - الالهام مستحيل. وأنا أخرس ، أخرس. كالميت لايؤلمه حتى تقطيعه. وماذا أفعل؟

- **يرمولوف**: ننتظر الرسول.

(فترة صمت) توقف. علينا أن ننهي الحديث. انظر إلى الخارج لقد دخلت الفناء عربة.

(يدخل الياور ويسلم مغلفات ليرمولوف)

- **الياور**: من بطرسبورغ إليكم ياسيدي..

- **يرمولوف**: أخيراً . ماذا أحضر لنا ساعينا؟

(الياور يغادر . يرمولوف يفتح أحد المغلفات ، يقرأ ورقة . ثم يعطيها لغريبوييدوف).

أمر مجلس الشيوخ . . مبروك . . سنقدم قَسَم الولاء لنيكولاي (**يفتح المغلفات**) . إذن . . إعلان سام . . مؤامرة شريرة . . لقد هبط الغضب الإلهي . . وسحق التمرد بعون الله .

- **غريبوييدوف**: سحق؟

- **يرمولوف**: اعتقل والقي القبض على . . هاهي التفاصيل وأسماء « المجرمين» - الأمير ترويبيتسكوي، كوندرات ريلييف . كيوخيلبيكر مع الفارين . . جماعة بيستوجيف وكاخوفكسي ومورافيوف . . .

- **غريبوييدوف**: (**يقرأ الورقة من وراء ظهر يرمولوف**)

(أودويفسكي . . أخي ، أصدقائي - في السجن والأصفاد . . الجيل بأكمله وجهد عشرات السنين ذهب هباء . لقد وجهنا إلى أنفسنا

ضربة مميتة . . وكل شيء كما كان – عبودية وقيصر . .

– **يرمولوف:** كل شيء كما كان؟ لاتقل هذا. الآن سيختبىء في الظل الاتكاليون الغارقون في النعيم. وسيبرز الدرك في دائرة الضوء (**يمسك بالمغلف الأخير**) مغلف آخر عفواً، إنه سري. (**يقرأ وبعد لحظات يعطيه متردداً لغريبوييدوف**). إقرأه وإنسه. (**يحرك نظره بسرعة وشغف على سطور الكتاب**) لينقل إلى بطرسبورغ ولتصادر كل أوراقه . .

– **يرمولوف:** (**مؤكداً**) لم يكن لدي الوقت لأفض هذا المغلف فوراً. لابأس ياصديقي أن تستعد. من يعرف قد تنجو من هذه الورطة، فالله لن يخذلك ، والخنازير لن تأكلك. إذهب وأشعل المدفأة وعند المساء تعتقل . .

(**غريبوييدوف يخطو نحو الباب**). .

– **يرمولوف:** لحظة، انتظر. إذا استدعوك إلى الاستجواب وقالوا أن هناك إفادات ، هناك وشايات. لاتضح بنفسك فداء للأصدقاء . .

- **غريبويدوف**: لم أكن يوماً من الأيام مرتكباً للمعصيات، ولن أجعلهم يوقعون بي، فأنا محنك كعصفور الدوري الذي يصعب اصطياده. (**يعرض كفه المصابة في إحدى المبارزات**).. في التحقيق الذي جرى بعد المبارزة اعترفت بالسفاسف ولم أقل كلمة واحدة عن القضية.
- **يرمولوف**: المسألة الآن ليست مسألة مبارزة، ليست مسألة تخويف..
- **غريبويدوف**: (**بجفاء**) الخوف يعني تدليع الناس..
- **يرمولوف**: ليس هناك أسلوب أفضل من..
- **غريبويدوف**: (**ملتقطاً المغزى**) «لاأعرف ولا أعلم».
- **يرمولوف**: ممتاز. باركك الله..

المشهد السابع عشر - أيار ١٨٢٦

رواق في مبنى الأركان العامة في بطرسبورغ

الوجيه العجوز يلتقي بجنرال

- الوجيه العجوز: كيف يجري التحقيق؟هل سينتهي قريباً؟
- الجنرال: كل شيء كان يسير بشكل ممتاز جداً، وفجأة توقف.

– الوجيه العجوز: أي، أي، أي، صحيح؟ من هذا الذي يعاند؟

– الجنرال: تسأل من؟ أنه هذا. . المحتال. الشاعر. مستشار يرمولوف – غريبوييدوف. آه كم أكره قراء الكتب. . «ماذا فعلت في كييف» – «قرأت لاصدقائي شعراً»، «عزفت لاصدقائي على البيانو»، في كومة التبن هذه كلها لاتجد حبة واحدة. . ياله من خروف وديع. لم يسمع حتى سمعاً عن مثيري الفتنة. انه هادىء ويحسب كل كلمة، والأمور عنده واضحة تماماً. يجب أن يساق إلى القلعة، لا أن يؤتى به إلى الأركان، فهناك سيروي لنا كل شيء. لكن المؤلم أنه لاتوجد أدلة مباشرة.

– الوجيه العجوز: عندما قام العصيان كان هو في جبال القفقاس، وربما يكون، أيها الجنرال محقاً. . ولكن ماذا ينتظرون من غريبوييدوف؟

– الجنرال: لقد كان المتآمرون يكنون له احتراماً عظيماً، باعتباره مؤلف «مأساة العاقل»، إضافة إلى أنه كان مقرباً جداً من يرمولوف. وهو لم يعرج

على كييف عبثا – هذا أعرفه جيدا. أما هو فلا يعترف..

– **الوجيه العجوز**: صحيح؟ لاتضيعوا الجهد هباء. فأن يعرج على أصدقائه ليست معصية لاتغتفر.. ليست هناك براهين، أليس كذلك؟

– **الجنرال**: م م – لاتوجد ادلة مباشرة، مع أن..

– **الوجيه العجوز**: اسمع نصيحتي الطيبة لك: تشكيلة المحكمة تكاد تكون جاهزة، والقيصر سيضم باسكيفيتش إلى عضويتها. أنا أؤكد لك ذلك. وهل سيكون من اللائق أن يكون القاضي من أقرباء المتهم؟ أنا أعتقد أنه لايجوز أخذ افادات الاستجواب دائماً بالقسر. وأنا المعجب برهافتك ودقتك أقول لك: لقد امسكتم بالكثير من الطرائد، فماذا يساوي هذا العصفور بالمقارنة مع مااصطدتموه، خاصة وأنه..

– **الجنرال** (باستعداد فرح) لاتوجد أدلة..

المشهد الثامن عشر - خريف ١٨٢٦

(مكتب شخصية هامة في بطرسبورغ. الشخصية الهامة (في معطف أزرق) وبولغارين)

- الشخصية الهامة: أنا أقدر خدماتك المقدمة لنا .

- بولغارين: أنا، لو تسمح سعادتكم، بصدد رجاء بشأن صديق لي . بشأن غريبوييدوف .

- الشخصية الهامة: (يرفع حاجبيه) لكن سراحه قد أطلق، وكوفيء مكافأة سامية . ومعلوماتي تفيد أنه قضى الصيف كله في العاصمة . .

- بولغارين : نعم . عندي علم بذلك . ومنذ مدة وجيزة غادر إلى القفقاس مسرعاً بالعودة إلى عمله .

- الشخصية الهامة: لم يسرع، في الحقيقة، كثيراً . إلا أن هذا ليس ضمن دائرة اهتمامي . من أجل ماذا يتوسط صديقنا؟

- بولغارين: أنه . . أو بالأحرى، أنا كناشر، لي رجاء بشأن « مأساة العاقل» .

- الشخصية الهامة : ماذا؟ مسرحية « مأساة العاقل»؟ للنشر؟ أتعرف أية سنة على الأبواب الآن؟ . . أنا أسأل فقط لمجرد المعرفة . . وهل تعرف ماذا

حدث في كانون الأول الماضي؟ . لا . مؤسف أنك لم تشارك في التحريات، وإلا كنت . . فعلاً . شيء مضحك مبُك . لقد كانت عند كل واحد تقريباً من هولاء الـ . . نسخة من هذه المسرحية مكتوبة بخط اليد . الوقت ليس وقت مزاح ياسيد، لا .

- بولغارين : أنا أظن أنه إذا أجرينا بعض الحذف . .

- الشخصية الهامة: لن أسمح باستخدام الصحافة من أجل الإساءة للسلطات والمجتمع . من حسن حظك أنك استطعت نشر مقاطع منها . الأدب مهنة رائعة : إذا كان لتسلية الناس وإثارة عواطفهم - فلا مانع .

- بولغارين : هذا هو بالذات ماأتحدث عنه . .

- الشخصية الهامة: من غير خداع . ألم تكتف؟ من الذي رد القراء عن مجلتك منذ سنة واحدة فقط؟ الجميع يطمعون بالمستحيل . كل هذا لايكفيه - بل هات وافسح له المجال كي يكتسب سمعة الليبرالي . .

- بولغارين: أبداً . . بإذن سعادتك . . حتى، لم

أفكر بذلك . .

- الشخصية الهامة: لا . لقد بالغت في تصديق أحكامك السليمة . .

- بولغارين : أنا لن أعطي للناس إلا ماتستطيع معدة المجتمع هضمه بسرعة . .

- الشخصية الهامة: كفى ، كفى احتيالاً علي. احذرك من ذلك . . إسمح لي بالنشر! وهل هناك أبسط من ذلك؟ في البداية هي هي هي هاهاها، ضحك وثرثرة، وبعد ذلك - إلى الساحة مع الجنود؟

- بولغارين: أنا نقي الروح والفكر، اهتم بالحق والنظام. أنا صحفي ثابت لايحيد. ولهذا كنت دائماً عرضة للهجوم من قبل أولئك الغارقين في الشرور. اسمع هذه النكتة: (اعطنا مهلة نساير بها صاحبنا، فنقطع لك في « نحلتك الشمالية»"*" رأس أولهم).

- الشخصية الهامة: ها ها ها ها ها . إذن أولهم؟ ورأسه؟ اشكرنا لأننا كنا مستعدين. وبمناسبة «النحلة»: أتلعب هناك ، فتنجرف مع الانتقاد

"*" النحلة الشمالية" اسم لمجلة كانت تصدر إذ ذاك".

وتنغمس فيه؟ ماذا يافارس الجرائد . أخشى أن تلفظ جريدتك آخر أنفاسها الوقحة . يجب أن يعرف كل صرصور موقده . المسارح والمعارض والمقاهي والإزدحام ، بل ودار الضيافة - كلها تصلح مادة للفكاهة ، أما أبعد من ذلك فلا . كفى . الحديث انتهى . .

المشهد التاسع عشر - ربيع ١٨٢٧

(القفقاس، مكتب قائد فوج القفقاس وراء المنضدة يجلس باسكييفيتش . يدخل غريبوييدوف)

- باسكيفيتش: لقد قررت دعوتك أولاً ، ياالكساندر سير غيبيفيتش، وسراً لاعلمك أن ماينتظرك الآن هو الافتراق عن جنرالك السابق، وأنك منذ الغد ستكون بأمرتي . .

- غريبوييدوف: هكذا إذن؟

- باسكيفيتش: لقد سُرح يرمولوف . هناك أمر بذلك . فهو لم يعد ينسجم مع زمننا . وقد آن الأوان لأن يفسح الطريق .

- غريبوييدوف: في هذه الحالة علينا إذن أن نتوقع

تغييرات كثيرة؟

- **باسكيفيتش** : تماماً، ياابن العمة. .

- **غريبويدوف**: إلا أنني. .

- **باسكيفيتش**: كصهر وكأخ كبير لك. معذرة، أقول لك : ماكان انتهى، أنت حر فأنت نظيف.

- **غريبويدوف**: كالبلور.

- **باسكيفيتش**: وقد شملك العفو الملكي. .

- **غريبويدوف**: لك، أنت فاعل الخير ، كل الـ. . .

- **باسكيفيتش**: لاداعي. فأنت ابن عمة إليزا، إضافة إلى أنك ، كما يقولون ،فونفيزين الثاني عندنا. غير أننا ، القيصر وأنا نعقد الآمال عليك. علي أن أحمي القفقاس. كان يرمولوف. . احم احم. . كل شيء ذهب أدراج الريح. . ولكن إلى جانب النقود والجنود، نحن نحتاج إلى دبلوماسي ذكي يقيم علاقات تجارية مع السلطان والشاه . من حسن حظنا أن مثل هذا الدبلوماسي موجود عندنا: أنت ستكون يدي اليمنى. .

- **غريبويدوف**: إلا أنني كنت أريد أن أطلب . .

- **باسكيفيتش** : لاتخف . لن أزعجك أبداً . أنا أقدرك وأحبك . . وأنا أتوقع إبحاراً طويلاً للسفينة الكبيرة، نهزم الفرس، وبعدها أرسلك إلى بطرسبورغ ، حيث تتسلى هناك وتروح عن نفسك – وستكون في ذلك منفعة من أجل الوجاهة والمكانة . وكنتيجة طبيعة ستنال وساماً ومركزاً ومكافآت وعلاوات . .

- **غريبويدوف**: كنت أريد، ياايفان فيودوروفيتش ، أن اطلب الاستقالة . .

- **باسكيفيتش** : هكذا . استناداً إلى أية أسباب؟

- **غريبويدوف**: أنا مؤلف . أنا أكتب . .

- **باسكيفيتش** : كفاك ياعزيزي فالآن ليس وقت التسلية . عندما تقهر الامبراطورية اعداءها تعزز قواها . لقد أعطيت ربة الشعر مالها، والآن آن الأوان للتفكير بالقضية . إذن، أنا سأتوجه في الأسابيع المقبلة إلى يريفان، بينما يكون عباس ميرزا في تبريز . .

- **غريبويـدوف**: أنـا لاأحس بأي اندفاع لممارسـة أعمال الدولة . .

-**باسكيفيتش**: « مون شير» أنت تثير استغرابي . انظر هذه رسالة من أمك إلى إليزا . تفضل بقراءتها، إنها على وشك الإفلاس، وهل سيكون مفرحاً لها جداً أن تعرف أنك « لاتحس بأي اندفاع»؟ ومحاسيبك، أصدقاء كانون الأول؟ أمامك ساعة للتفكير، وأنا هنا لاأتحدث عن الامتنان. ليس لي، بل للقيصر . .

(يغادر مغلقاً الباب وراءه بقوة)

- **غريبويدوف**: خمس انشوطات مميتة وسيبيريا والجندية تخطتني جميعها: وهاأنا حي ، نظيف. أفلا يحق لفاعل الخير أن يتحكم بي؟ أيعقل أن أكون ناكراً للجميل؟ الآمال المتوقدة مضحكة مثلكم . الحب ؟ ليس هناك امرأة . والأصدقاء ؟ فاديّي بولغارين . اما المراتب؟ فلا ترقية ولامناصب.

(يدخل جندي)

- **الجندي** : إني أحمل رسالة إلى الجنرال.

- **غريبويدوف**: من ، أنت؟
- **الجندي** : لم أعرفك فوراً! .
- **غريبويدوف**:وأنا لم أعرفك في البداية . . إذن أنت . .
- **الجندي**: جردت من رتبتي ونفيت إلى القفقاس . بينما كان مصير الآخرين أقسى . استطعت أن أتنصل بسهولة . وأنت أيضاً؟
- **غريبويدوف**: أنا أعطيت شهادة نقاء وحسن سلوك . .
- **الجندي** :آها . كنت تتفرج على المسرحية من مقصورتك . .
- **غريبويدوف**: وهل من نجا مُذنب في ذلك؟
- **الجندي**: أنا لاأحملك ذنباً . لقد كنت أذكى منا . كنت تعرف أن النجاح ليس أخا العدالة ، بل أخو القوة . أنت ذكي ، دبلوماسي ، لاتحشر نفسك ولاتورطها في حماسة الشباب . أما نحن المجانين فنصيبنا الأشغال الشاقة والجندية والسجن . . لكنك بقيت وحيداً ، وهنا يكمن شقاؤك ومأساتك . هذه هي مأساة العاقل . .
- **غريبويدوف**: لقد تملكتكم العجلة .
- **الجندي** : ومافائدة النظر إلى التعسف والتضييف من

دون فعل ؟ لقد تصرفنا بوحي ضميرنا .

- **غريبويدوف**: جيل بكامله قُتل . فماذا كان يضيركم لو انحتم للفكرة فرصة النضوج! .

- **الجندي**: لابأس أن يسحقنا العنف الغاشم ، إذا كنا قد استطعنا أن نحرك العقول . لقد فعلنا ماكان علينا فعله ، وبذلك فتحنا الطريق . .

- **غريبويدوف**: لأمثال مولتشانين وسكالوزوب . على كل لنكف عن النقاش . فأنا لاأريد أن أسود بريق نجاحكم المرير ، ولست أنا من يلومكم . أنا وحيد - أنت على حق . إنه الاستعجال . وهانحن فرادى ، كل على حدة ، نحاول وعلينا أن نخرج من الحفرة . ولكن لابأس . نحن الروس عنيدون . فبعد مائة سنة . لعل وعسى .

(**يدخل باسكيفيتش . ينهض الجندي ويقدم له المغلف**)

- **باسكيفيتش**: إذن هكذا؟ حديث؟ ومع رتبة أدنى؟ (**إلى الجندي**) انصرف .

(**الجندي يغادر**) من أولئك؟ يوجد بينهم جيدون. أجل . في القفقاس اجتمعت الذئاب والحملان

في قطيع واحد. إلا أن نظامي صارم: يجب أن لانرفع الكلفة مع الرتب الأدنى مهما كلف الأمر، وإن كنا جميعاً في القفقاس . أنا سأهوي المكان هنا من روح يرمولوف ، الذي كان يكتب لجنوده في الأوامر. « أيها الرفاق» . معذرة ياصديقي على نصائحي - لقد آن لك ان تستوعب نظامي . ولكن لاتحزن، سيحصل محاسيبك على الرتب في أول فرصة سانحة. .

- **غريبويدوف**: ياصديقي الخير الطيب. إني أجثو أمامك على ركبتي فمساعدة الذين تضرروا هي واجبنا الأول.

- **باسكيفيتش**: نعم، نعم. . اودويفسكي؟

- **غريبويدوف**: ألم يفتدي ضياعه بعد ؟ أرجوك انقذه. فأنت ، بمالك من خدمات ، على درجة كبيرة من القوة والجاه. .

(**فترة صمت**)

-**باسكيفيتش**: على شرط أنك لم تتكلم عن الإستقالة، ولاأنا سمعت عنها شيئاً.

المشـهـد العشرون - صيف ١٨٢٨

(حديقة في تسينانداليا- من أملاك الأمير الكساندر تشافتشافادزه . غريبوييدوف ونينا)

- غريبوييدوف: إذن، أنت لي؟
- نينا: لك وإلى الأبد.
- غريبوييدوف: ياصغيرتي نينو.
- نينا: الجبال تتقوض وتنهدم، والأنهار تنضب وتجف والحب وحده مكتوب له الخلود.
- غريبوييدوف: يالك من صغيرة، ياأميرتي الكرجية. إن تدفق أحاسيسك المتوقدة يجعل عينيك مشعتين بالألق..
- نينا: لاتضحك علي، ياساندر.
- غريبوييدوف: أنا أضحك من شدة سعادتي بحبك. أنا أحبك ياعذرائي ، واستجدي منك قبلة جاثياً أمامك..
- نينا: أنت مازلت تضحك.
- غريبوييدوف: الحمد لله . نعم. اضحك لقد كدت أنسى الضحك، ففي الماضي كنت أمزح ، ثم هجرت المزاح والمرح واعتقدت إني هجرتهما إلى الأبد، ولكني الآن أجد نفسي وقد ولدت من جديد، وروحي مفعمة فرحاً.

- نينا: ماأروع الحياة .

-**غريوبيدوف**: الحياة رائعة .

(**فترة صمت**)

ولكنها مع الأسف تمر بسرعة .

- نينا: نحن لن نموت . سنعيش أبداً .

- **غريوبيدوف**: موافق، إذا كنا معاً .

- نينا: منذ مائة عام وأشجار الدلب هذه تنتظرك . والبيت القديم وسماء آلازان الزرقاء فرحان بنا .

- **غريوبيدوف**: أجل . سنعيش هنا، في تسينانذال الهادئة الرائعة .

- نينا: وهنا ستكتب .

- **غريوبيدوف**: فعلاً . هنا . أنت على حق، هنا، بعد سنة أو بعد سنتين .

- نينا: لماذا الانتظار طويلاً؟

- **غريوبيدوف**: أنا نفسي أنتظر على أحر من الجمر، إلا أنني ، ياروحي، حبيس الديون - أنا مدين لأمي ولباسكيفيتش وللقيصر - لقد عينت سفيراً مفوضاً في إيران ، ولاأستطيع الرفض، فأنا

كالملزمين بدفع الأتاوة. ملزم بإرسال النقود إلى السيد في بطرسبورغ، وجباية الأتاوات من المهزومين استناداً إلى القانون . لقد كنت أحتقر طوال حياتي - عبثاً كما يبدو - الأنذال والبخلاء ، وهاأنا. . سأسعى من أجل القيصر لكي يكون عنده مايطعم به أطفاله، وبعد ذلك سأعود إن شاء الله .

- نينا: ماذا تقول؟ لقد انقبض قلبي فجأة .

- **غريبويدوف**: مابك ياروحي. مم تخافين؟ أقول إنني سأعمل من أجلي وأجلك (**جانباً**) هل تتحقق المعجزة وأخرج من هناك حياً ؟ (**بصوت عال**) سأقضي أيامي ناسكاً في سكينة ممتعة وسط عائلتي. وسأودع الأوراق أفكاري وأأتمنها عليها بحرية ودون رقابة. وهل أنا بحاجة من أجل السعادة إلى أكثر من ذلك؟ أنا بحاجة لأن أنسى في هذا الفيء المسالم ذلك البهرج الاحتفالي وازدحام المتعجرفين. . أيمكنني، أخيراً، أن ألقي عني بعيداً بهذه القيود؟

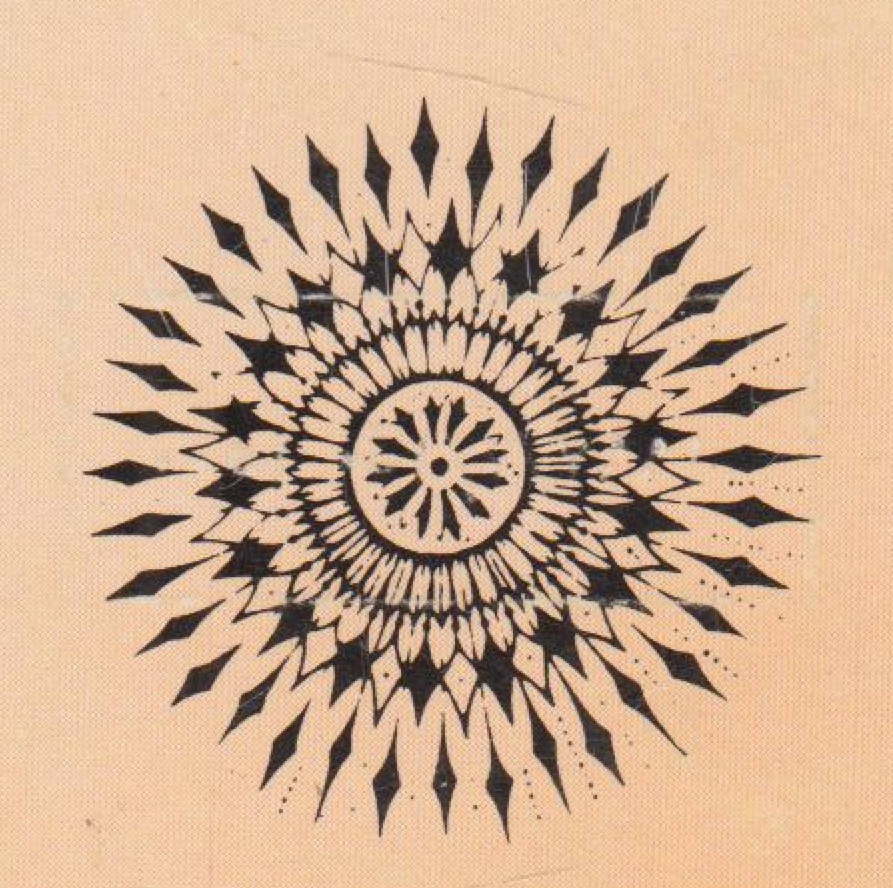
- **نينا**: أجل ياحبيبي، فنحن مازلنا على عتبة النهار. وأنت ستتفرغ لي ولموهبتك. إنس القلق والشكوك. لا تتلفت ولاتسرع. ثق بتدفق الإلهام وأسلمه زورق روحك..

- **غريبويدوف**: أنا أؤمن أن أشعة الفجر قريبة، وأن هذه الأشعة ستشتت ضباب العتمة المرهقة.. لكنها تنتظر عربة الرسول: فطريق الحرية يمر عبر طهران. أؤكد لك أني سآتي إلى هنا ثانية، وعما قريب، لأبقى هنا دائماً. سآتي إلى حبيبتي وإلى عملي..

(يخرج إلى مقدمة المسرح)

جاء في الكتاب: «في البدء كانت الكلمة» ففيها العقل والخير. وهي أساس كل شيء على الأرض. إنها مجنحة لاتعترف بالقيود ولا بالنفي ولا بالأسوار. وإذا كانوا قد عذبوا موهبتي المسكينة طويلاً وبقسوة، وإذا كانت الأرض ستحتضن رفاتي قريباً، فإن الكلمة التي قلتها ستحلّق حرة وستظل حية إلى الأبد..

١٥٠٠ ط١/٧/١٩٩٧



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر

١٢٥ ل.س

في الاقطار العربية مايعادل

٢٥٠ ل.س